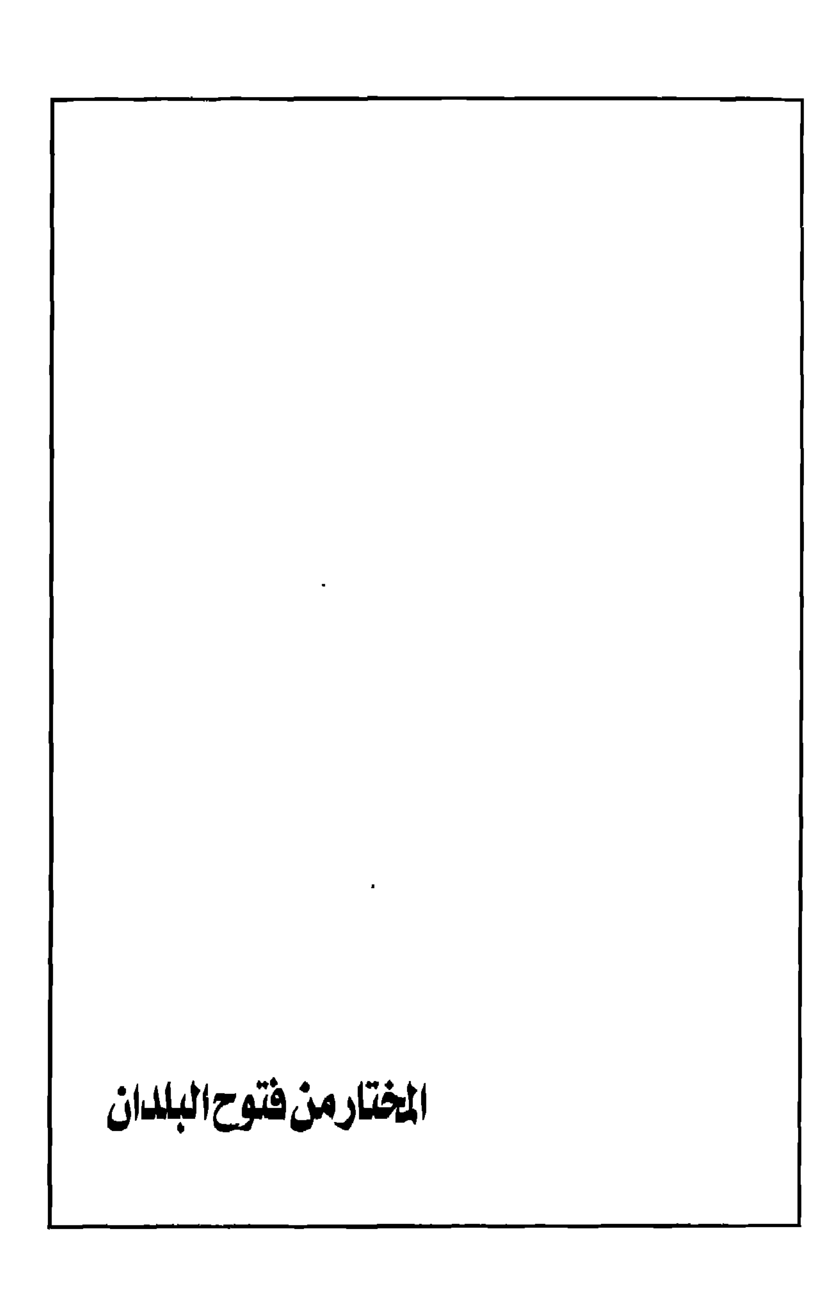
مكتبة الأسرة
1999

التراث

المختار من
فتوح البلدان
للبلاذري



المختار من فتوح البلدان

المختار من

فتوح البلدان

إعداد وتقديم

د. سمير سرجان   د. محمد عنانى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة التراث)

المختار من فتوح البلدان

إعداد وتقديم : د. سمير سرحان د. محمد عنانى

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: محمود الهندى
المشرف العام:
د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

تصدير

يعتبر كتاب **فتوح البلدان** للبلاذرى من أمهات كتب التاريخ العربى والإسلامى ، وقد عاش المؤلف فى القرن الثالث الهجرى (ت ٢٧١) ، فكان ما يزال قريب العهد بالأحداث التى يرويها ، وهو يعتمد - كغيره من مؤرخى الجيل الثانى - على رواية ما وصله من أخبار ينسبها إلى أصحابها ، وكان شاعراً ومترجماً عن الفارسية ، واسمه الكامل مشكوك فى صحته وإن كان يقال انه أحمد بن يحيى بن جابر ، وقد سُمّى بالبلاذرى فيما يقال لأنه كان يأكل البلاذر فى آخر عمر ، وهو نبات هندى ، أو شرب سائلا يصنع منه ، « على غير معرفة به ففقد عقله ومات » على ما يروى محمد بن إسحق النديم ، ولئن كان المؤرخون الأوائل فى الاسلام حتى ابن هشام (٢١٨ هـ) قد عنوا بالسيرة والمغازى ، فلقد وسع البلاذرى من مادة هذا التاريخ بحيث أصبحت تعنى بالفتوحات الإسلامية على نطاق واسع ، وذكر المظاهر المختلفة التى رافقت وقائعها وأحداثها ، ويقول أحمد أمين «وهذا ما دعا مؤرخى البلدان أن يعقدوا

الفصول الطويلة فى أول كتبهم يبينون فيها حال البلد فى الفتح ، هل فتحت سلماً أم عنوة ؟ وهذا هو الذى دعا البلاذرى أن يفرد فى ذلك كتابه المشهور **فتوح البلدان** » .

ويسعد مكتبة الأسرة أن تقدم إلى القارئ العربى هذا العام بعض المختارات من هذا الكتاب النفيس ، ابتداء من فتح قبرص (قبرس) حتى فتح الأندلس ، وفى هذه المختارات من عبق التاريخ وجمال الرواية ما يعتبر مادة ذات مذاق فريد ، ما أحوجنا اليوم إلى التمتع بها ، والاطلاع على ما بها من روائع .

والله من وراء القصد

مكتبة الأسرة

أمر قبرس

قال الواقدى وغيره، غزا معاوية بن ابى سفيان فى البحر غزوة قبرس الأولى ، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها ، وكان معاوية استأذن عمر فى غزو البحر فلم يأذن له ، فلمّا ولى عثمان بن عفّان كتب إليه يستأذنه فى غزوه[1] قبرس ويُعلمه قربها وسهولة الأمر فيها فكتب إليه أن قد شهدت ما ردّ عليك عمر «رحـه»[2] حين استأمرته فى غزو البحر فلمّا دخلت سنة ٢٧ كتب اليه يهوّن عليه ركوب البحر إلى قبرس ، فكتب اليه عثمان فان ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً لك والا فلا ، فركب البحر من عكّا ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته فَاخِتَة بنت قَرَظَة ابن عبد عمرو بن نَوْفَل بن عبد مناف بن قُصَيّ وحمل عُبَادَة بن الصّامت امرأته امّ حَرَام بنت مِلحان الأنصاريّة وذلك فى سنة ٢٨ بعد انحسار الشتاء ، ويقال فى سنة ٢٩ ، فلمّا صار المسلمون إلى قبرس فأرْقوا إلى ساحلها (وهى جزيرة فى البحر يكون فيما يقال ٨٠ فرسخاً فى مثلها)

---

(١) وفى نسخة « ب » : غزو .　　(٢) رحـه : تعنى رحمه الله .

بعث اليهم أركونها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها به فصالحهم على سبعة الف ومائتى دينار يؤدُّونها فى كلّ عـام ، وصالحهم الروم على مثل ذلك فهم يؤدُّون خـرجين ، واشترطوا أن لا يمنعـهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم ؛ واشـتـرط عليهـم المسلمـون أن لا يقاتلـوا عنهم من أرادهم من ورائهم ، وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوّهم من الروم ، فكان المسلمون اذا ركبـوا البحـــر لم يعرضـوا لهم ولم ينصرهم اهل قـبرس ولم ينـصروا عليهم . فلمّا كانت سنة ٣٢ أعانوا الروم على الغزاة فى البحر[١] بمراكب اعطوهم أيّاها فـغزاهم معـاوية سنة ٣٣ فى خمس مـائة مركب ، فـفتح قبرس عنوة فقتل وسبى ثمّ أقرّهم على صلحهم ، وبعث اليها باثنى عشر الفاً كلُّهم اهل ديوان ، فبنوا بها المـاجـد ونقل اليها جماعة من بَعْلَبَكّ ، وبنا بها مدينة واقاموا يعطون الاعطية إلى أن توفى معاوية وولي بعده ابنه يزيد ، فأقفل[٢] ذلك البعث وامـر بهدم المدينة . وبعض الرواة يزعم أنّ غزوة معاوية الثانية قبرس فى سنة ٣٥ .

وحدّثـنى محـمّد بن مُصَفّى الحمـصى عن الوليد ، قـال ، بلغنا أنّ يزيد بن معـاوية رُشِى مالا عظيـماً ذا قدر حـتّى اقفل جند قـبرس ، فلمّا قفلوا هدم أهل قبرس مدينتهم ومساجدهم .

وحدّثنى محمّد بن سعد، عن الواقدى، عن عبد الـسلام بن موسى ،

---

(١) وردت فى نسخة « آ » باضافة : من المسلمين .

(٢) اقفل : أرجع .

عن أبيه قال : لمّا غُزِيت قبرس الغزوة الأولى ركبت أمُّ حَرَام بنت مِلْحان مع زوجها عُبَادة بن الصَّامت ، فلمّا انتهوا إلى قبرس خرجت من المركب وقُدمت إليها دابّة لتركبها ، فعثرت بهـا فقتلتها ، فقبرها بقبرس يدعى[1] قبر المرأة الصـالحة . قالوا : وغزا مع معـاوية ابو ايُّوب خالد بن زيد بن كُلَيب الانصارى، وأبو الدَّرْدَاء، وأبو ذَرّ الغِفارى ، وعُبادة بن الصامت ، وفَضالـة بـن عُبَيد الانصـارى ، وعُمَير بن سـعد بن عُبَيد الانـصارى ، وواثِلَة بن الأَسْقَع الكنانى ، وعبـد الله بن بشر المازنى ، وشَدَّاد بن أَوْس ابن ثابت ، وهو ابن اخـى حـسَّان بن ثابت ، والمِقْداد وكـعْب الحَبْر بن مَاتِع ، وجُبَيْر بن نُفَيْر الحضرمى .

حـدَّثنى هشام بن عـمَّار الدمشـقى قـال : حـدَّثنا الـوليد بن مُسْلِم عـن صَفْوان بـن عمـرو ، أنَّ مـعاوية بن ابى سفيـان غزا قبرس بنـفسه ومـعه امـرأته ، ففتـحها الله فتحاً عظيمـاً ، وغنَّم المسلمين غنماً حسناً ، ثمَّ لم يـزل المسلمون يغـزونهم ، حتَّى صالحهم معـاوية فى أيَّامه صلحاً دائـمـاً على سبعـة الـف دينار ، وعلى النصيـحة للمـسلمين ، وانذارهـم عـدوّهم من الـروم ، هذا أو نحـوه . قالوا : وكان الوليـد بن يزيد بن عـبد الملك أجلى منـهم خلقاً إلـى الشـام لأمـر اتَّهمهم به ، فأنكر الناس ذلك ، فـردَّهم يزيد بـن الوليد بـــن عبـد الملك إلـى بلدهـم ، وكـان حُمَيْد بن مَعْيُوف الهَمْدانى غزاهم فى خلافة الرشيـد لحدث أحدثوه فأسر

---

(١) وورد فى الأصل : تدعى .

منهم بشراً ، ثمّ أنّهم استقاموا للمسلمين فأمر الرشيد بردّ من أسر منهم فردّوا .

حدّثنى محمّد بن سعد عن الواقدى فى اسناده ، قال : لم يزل أهل قبرس على صلح معاوية حتّى ولى عبد الملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطّها عنهم ، ثم لمّا ولى هشام بن عبد الملك ردّها ، فجرى ذلك إلى خلافة أبى جعفر المنصور ، فقال : نحن أحقّ من انصفهم ، ولم نتكثّر بظلمهم فردّهم إلى صلح معاوية .

وحدّثنى بعض أهل العلم من الشاميّين وأبو عبيد القاسم بن سلاّم قالوا : احدث أهل قبرس حدثاً فى ولاية عبد الملك بن صالح بن على ابن عبد الله بن عبّاس الثغور فأراد نقض صلحهم ، والفقهاء متوافرون فكتب إلى اللّيث بن سعد ، ومالك بن انس ، وسفيان بن عُيَيْنة وموسى بن أعيَن ، واسماعيل بن عيّاش ، ويحيى بن حمزة ، وابى اسحاق الفزارى ، ومَخْلَد بن الحسين فى امرهم فأجابوه ، وكان فيما كتب به الليث بن سعد انّ اهل قبرس قوم لم تزل نتّهمهم بغشّ اهل الإسلام ومناصحة اعداء الله الروم ، وقد قال الله تعالى[1] : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ ولم يَقُل لا تنبذ[2] إليهم حتّى تستيقن

(١) قرآن كريم : سورة الأنفال الآية ٥٩ .

(٢) نبذ العهد : نقضه .

خيانتهم وانّى أرى ان تنبذ اليهم ويُنْظَروا سنة يأتمرون ، فمن أحبَّ منهم اللحاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمَّة يؤدَى الخراج قبلت ذلك منه ، ومن أراد أن يتنحى إلى بلاد الروم فعل ، ومن أراد المقام بقبرس على الحرب أقام ، فكانوا عَدُوًّا يُقَاتَلون ويُغْزَون فإنَّ فى انظار سنة قطعاً لحجَّتهم ووفاء بعهدهم ، وكان فيما كتب به مالك بن انس ، أنَّ أمان أهل قبرس كان قديماً متظاهراً من الولاة لهم ، وذلك لأنهم رأوا أنَّ اقرارهم على حالهم ذلّ وصغار لهم وقوةَّ للمسلمين عليهم ، بما يأخذون من جزيتهم ويصيبون به من الفُرْصَة فى عدوّهم ، ولم أجد أحداً من الولاة نقض صلحهم ولا اخرجهم عن بلدهم ، وأنا أرى أن لا تعجل بنقض عهدهم ومنابذتهم حتّى تتَّجه الحجَّة عليهم فانَّ الله يقول[1] : ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ ، فإن هم لم يستقيموا بعد ذلك ويَدَعوا غشَّهم ، ورأيتَ انَّ الغدر ثابت منهم اوقعتَ بهم، فكان ذلك بعد الاعذار فرُزقت النصر ، وكان بهم الذلّ والخزى ان شاء الله تعالى ، وكتب سفيان بن عيينة انَّا لا نعلم النبى ﷺ عاهد قوماً فنقضوا العهد الاَّ استحلّ قتلهم ، غير أهل مكَّة فانَّه منَّ عليهم ، وكان نقضهم أنَّهم نصَّروا حُلَفَاءهم على حُلَفَاء رسول الله ﷺ من خُزاعة ، وكان فيما اخذ على أهل نَجْران ان لا يأكلوا الربا ، فحكم فيهم عمر «رحه» حين اكلوه باجلائهم فإجماع القوم أنَّه من نقض عهداً فلا ذمَّه له ، وكتب موسى بن أعين : قد كان يكون مثل هذا فيما خلا ، فيعمل الولاة فيه

(١) قرآن كريم : سورة التوبة الاية : ٥ .

النظرة ، ولم أر أحداً ممّن مضى نقض أهل قبرس ولا غيرها ، ول
عامّتهم وجماعتهم لم يمالئوا على ما كان من خاصّتهم ، وأنا أرى الو
لهم والتمام على شرطهم ، وان كان منهم الّذى كان ، وقد سم
الأوزاعى يقول : فى قوم صالحوا المسلمين ، ثم أخبروا المشركين بعورة
ودلّوهم عليها انّهم ان كانوا ذمّة فقد نقضوا عهدهم وخرجوا من ذمّتهم
فان شاء الوالى قتل وصلب ، وان كانوا صلحاً لم يدخلوا فى ا
المسلمين، نبذ اليهم الوالى على سواء ﴿ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ[1] الْخَائِنِينَ
وكتب اسماعيل بن عيّاش ، أهل قبرس أذلاّء مقهورون يغلبهم الروم ع
أنفسهم ونسائهم فقد يحقّ علينا أن نمنعهم ونحميهم ، وقد كتب حبي
بن مسلمة لاهل تَفْليس فى عهده ، انّه ان عرض للمسلمين شغل عنه
وقهركم عدوّكم فانّ ذلك غير ناقض عهدكم بعد أن تفوا للمسلمين ، و
أرى أن يقرّوا على عهدهم وذمّتهم ، فانّ الوليد بن يزيد قد كان أجلاه
إلى الشام فأستقطع ذلك المسلمون، واستعظمه الفقهاء، فلمّا ولى يزيد
الوليد بن عبد الملك ردّهم إلى قبرس ، فاستحسن المسلمون ذلك من فع
ورأوه عدلاً ، وكتب يحيى بن حمزة انّ أمر قبرس كأمر عَرَبَسُّوس ، ف
فيها قدوة حسنة ، وسنّة متبعة ، وكان من أمرها انّ عُمَير بن سعد قال
لعمر بن الخطّاب وقدم عليه أنّ بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عَرَبْسُّوس
وأنّهم يخبرون عدونّا بعوراتنا ولا يظهرونا على عورات عدوّنا ، فقا

(1) قرآن كريم : سورة يوسف الآية : ٥٢ ، وفى سورة الأنفال الآية ٥٩ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ .

عمر : فاذا قدمت فخيّرهم أن تعطيهم مكان كلّ شاة شاتين ، ومكان كلّ بقرة بقـرتين ، ومكان كلّ شيء شيـئين ، فإذا رضوا بذلـك فأعطهم ايَّاه وأجلهم واخـربها ، فان أبوا فـانبذ اليـهم ،وأجّلهم سنة ثمّ اخـربها ، فانتهى عمير إلى ذلك فأبوا ، فـأجّلهم سنة ، ثمّ أخربها وكان لهم عهد كعهد أهل قبرس ، وترك أهل قـبرس على صلحهم والاستعانة بما يؤدّون على امور المسلمين افضل ، وكلّ أهل عـهد لا يقاتل المسلمون من ورائهم ويجرى عليـهم أحكامهم فى دارهم فـليسوا بذمّة ، ولكنهـم أهل فدية ، يكفّ عنهم ما كفّوا ويُوفى لهم بعهدهم مـا وفوا ورضوا ، ويقبل عفوهم ما أدّوا ، وقـد رُوى عن مُعَاذ بن جَبَل انّه كره ان يُصالح احـد من العدوّ علي شيء معلوم ؛ الاّ أن يكون المسلمـون مضطرّون إلى صلحهم لانّه لا يدرى لعلّ صُلْحَهم نفع وعـز للمـسلمين . وكتب أبو اسـحاق الفـزارى ومَخْلَد بن الحسين أنّا لم نر شيئاً اشبه بأمر قبرس من امر عَرَبَسُوس ، وما حكم به فينا عمر بن الخطّاب ، فانّه عـرَض عليهم ضعف مالهم على ان يخرجوا منها ، او نظرة سنة بعد نبذ عهدهم اليهم ، فأبوا الأولى فأنْظِروا ثمّ أُخْرِبت ، وقد كـان الأوزاعى يحدّث انّ قبرس فـتحت فتـركوا علـى حالـهم وصـولحوا علـى أربعة عشـر ألف دينار ، سبعة ألف للمسلمين ، وسبعة ألف للروم على أن لا يكـتموا الروم أمر المسلمين ، وكان يقول ما وفى لنا أهل قبـرس قطّ وانّا لنرى انّهم أهل عهـد وانّ صلحهم وقع على شيء فيه شـرط لهم وشرط عليهم ولا يستـقيم نقضه الاّ بأمر يعـرف فيه غدرهم ونكثهم .

أمر السامرة

حدثني هشام بن عمار ، عن الوليد بن مُسْلم ، عن صَفْوان بن عمرو أنَّ أبا عبيدة ابن الجرَّاح صالح السَّامرة بالأُرْدنّ وفِلَسْطِين ، وكانوا عيوناً وأدلاَّءَ للمسلمين ، على جزية رؤوسهم ، وأطعمهم أرضهم ، فلمَّا كان يزيد بن معاوية وضع الخراج على أرضهم . وأخبرني قوم من أهل المعرفة بأمر جندى الأُرْدُنّ وفِلَسطِينَ ، أنَّ يزيد بن معاوية وضع الخراج على أراضى السامرة بالأردنّ ، وجعل على رأس كلّ أُمرىء منهم خمسة دنانير ، والسامرة يهود ، وهم صنفان صنف يقال لهم الدُّسْتان ، وصنف يقال لهم الكُوشان .

قالوا : وكان بفلسطين فى أوّل خلافة أمير المؤمنين الرشيد «رحمه» طاعون جارف ، ربمَّا اتى على جميع أهل البيت ، فخربت ارضوهم وتعطَّلت ، فوكَّل السلطان بها من عمَّرها ، وتألَّف الا كرة[1] والمزارعين اليها فصارت ضياعاً للخلافة ، وبها السامرة ، فلمَّا كانت سنة ٢٤٦ رفع أهل قرية من تلك الضياع تدعى بيت ماما من كورة نابُلُس ، وهم سامرة يشكون ضعفهم وعجزهم عن أداء الخراج على خمسة دنانير ، فأمر المتوكّل على الله بردّهم إلى ثلاثة دنانير .

حدَّثني هشام بن عمَّار قال : حدَّثنا الوليد بن مُسلم ، عن صَفْوان

---

(١) الأكرة : ج الأكّار ، الحرّاث .

ابن عمـرو وسعيـد بن عبد العـزيز ، أنَّ الروم صالحت مـعاوية على أن يؤدّى إليهم مالا ، وارتهن معاوية منهم رهناء فوضعهم ببَعْلَبَكّ ، ثمَّ إنَّ الروم غـدرت ، فلم يستـحلّ معـاوية والمسلمون قـتل من فى أيديهم من رهنهم ، وخلُّوا سبـيلهم وقالوا : وفاءٌ بغـدر خيرٌ من غدرٍ بغـدرٍ ، قال هشام وهو قول العلماء ، الأوزاعى وغيره .

أمرُ الجُراجِمة

حدَّثنى مشايخ من أهل انطاكـية ، أنَّ الجُرَاجِمَة من مدينة على جبل اللُّكام عنـد مـعدن الزاج فـيمـا بين بَيَّاس وبُوقا يقـال لها الجُرْجُومَة وأنَّ أمرهم كـان فى أيام استـيلاء الروم على الشـام وأنطاكيـة ، إلى بطريق أنطاكية وواليـها ، فلمَّا قدم أبو عبيدة انطاكـية وفتحها لزمـوا مدينتهم ، وهمُّوا باللحاق بالروم اذ خافوا على أنفسهم فلم ينتبه المسلمون لهم ، ولم ينبِّهوا عليهم ، ثـمَّ إنَّ أهل أنطاكية ، نقضوا وغـدروا ، فوجَّه اليهم أبو عبيـدة من فتحها ثانيـة ، وولاَّها بعد فتحهـا حَبيب بن مَسلمَة الفِهْرى ، فغـزا الجُرجُومَة فلم يقاتـله أهلها ، ولكنَّهم بدروا بطلب الأمـان والصلح فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسـلمين وعيوناً ومسالح فى جبل اللُّكام وأن لا يؤخذوا بالجزية وان ينفِّلوا اسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين اذا حضروا معهم حرباً فى مـغاريهم ، ودخل من كان فى مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط وغـيرهم ، وأهل القرى فى هذا الصلح ، فسُمُّوا الرواديف لانَّهم تَلَوْهم وليسوا منهم ، ويقـال أنهم جاءوا بهم إلى عسـكر

المسلمين ، وهم ارداف لهم ، فسمُّوا رواديف ، فكان الجُرَاجِمَة يستقيمون للولاة مرَّة ويعوجون أخرى ، فيكاتبون الروم ويمالئونهم ، فلمَّا كانت أيَّام ابن الزبير ومروان بن الحكم وطلب عبد الملك الخلافة بعده لتوليته أيَّاه عهده واستعداده للشخوص إلى العراق لمحاربة المصعب بن الزبير ، خرجت خيل للروم إلى جبل اللُّكام وعليها قائد من قوَّادهم ، ثمَّ صارت إلى لُبْنَان وقد ضوت إليها جماعة كثيرة من الجُرَاجِمَة ، وانباط وعبيد أُبَّاق من عبيد المسلمين ، فاضطر عبد الملك إلى أن صالحهم على الف دينار فى كلّ جمعة ، وصالح طاغية الروم على مال يؤدِّيه[1] إليه لشغله عن محاربته وتخوُّفه ان يخرج إلى الشام فيغلب عليه ، واقتدى فى صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق فانَّه صالحهم على أن يؤدِّى إليهم مالا وارتهن منهم رهناء وضعهم بِبَعْلَبَكَّ ، ووافق ذلك أيضاً عمرو بن سعيد بن العاصي الخلافة ، واغلاقه أبواب دِمَشْق حين خرج عبد الملك عنها ، فازداد شغلاً وذلك فى سنة ٧٠ ، ثمَّ أنَّ عبد الملك وجَّه إلى الرومي سُحَيم بن المهاجر فتلطَّف حتَّى دخل عليه متنكِّراً فاظهر الممالاة له وتقرَّب اليه بذمّ عبد الملك وشتمه وتوهين امره حتَّى امنه وأغترَّ به ، ثمَّ أنَّه انكفى عليه بقوم من موالى عبد الملك وجنده كان أعدَّهم لمواقعته ورتَّبهم بمكان عرفه ، فقتله ومن كان معه من الروم ، ونادى فى سائر من

(١) ذكر الطبرى قوله : ثم دخلت سنة ٧٠ ، ففى هذه السنة ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك بن مروان ملك الروم على أن يؤدى إليه فى كل جمعة الف دينار خوفاً منه على المسلمين .

ضـوى اليه بالأمـان ، فتـفرّق الجُرَاجِمَة بقـرى حِمْص ودِمَشْق ، ورجع اكثـرهم إلى مدينتـهم باللُّكام ، واتى الانبـاط قراهم فـرجع العبـيد إلى مـواليهم ، وكـان مَيمون الجُرْجُمَانى عـبداً رومـيـاً لبنى امّ الحكَم اخت معاوية بن ابى سفيـان وهم ثَقَفِيُّون ، وانّما نسب إلى الجُرَاجِمَة لاختلاطه بهم وخروجه بجـبل لُبْنان معهم ، فبلغ عبد الملك عنه بـأس وشجاعة ، فـسـأل مواليه أن يعـتقوه فـفعلوا وقوّده عـلى جماعـة من الجند ، وصيّره بانطاكية ، فغـزا مع مَسلمَة بن عبد الملك الطُّوانة وهو على ألف من أهل انطاكيـة ، فاستشـهـد بعد بلاء حسن وموقـف مشهود ، فغمّ عـبد الملك مُصابه وأغزى الروم جيشاً عظيماً طلباً بثأره .

قالوا : ولمّا كانت سنة ٨٩ ، اجتـمع الجُرَاجِمَة إلى مدينتهم وأتاهم قومٌ من الروم من قبل الإسكندرية ورُوسس ، فـوجَّه الوليد بن عبد الملك اليهم مَسلمَة بن عبد الملك فأناخ عليهم فى خلق مـن الخلق فافتتحها على ان ينزلوا بحيث احبُّوا من الشام ، ويجرى على كلّ امرىء منهم ثـمانية دنانيـر ، وعلى عـيالاتهم القـوت من القمح والزيت ، وهو مـديان من قمح ، وقسـطان من زيت ، وعلى أن لا يكرهوا ، ولا احد من أولادهم على ترك النصرانيّة ، وعلـى أن يلبسوا لباس المسلمين ، ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية ، وعلـى أن يغزوا مع المسلمين فيُنَفّلوا[1]

---

(١) تنفَّل صلى النوافل على اصحـابه ، أخذ من النفل أو الغنيمة اكـثر مما أخذوا ، وتنفَّل منه الشيء : طلبه .

اسـلاب من يقتلونـه مبـارزة ، وعلى أن يؤخـذ من تجاراتهم ، وأمـوال موسـريهم ، ما يؤخـذ من أموال المسلمين فـأخرب مـدينتَهم ، وأنزلهم فأسكنهم جـبل الحُوَّار وسنح اللولون (؟) وعَمْق تِيزِينَ ، وصار بعـضهم إلى حمص ، ونزل بطريق الجُرْجُومَة فى جماعـة معه انطاكية ، ثمَّ هرب إلى بلاد الروم ، وقد كـان بعض العمَّال الزم الجُراجـمة بأنطاكيـة جزية رؤوسهم ، فرفعوا إلى الواثق بالله « رحه » وهو خليـفة ، فأمر باسقاطها عنهم .

وحدَّثنى بعض من أثِقُ به من الكتَّاب ، انَّ المتـوكل على الله «رحه» أمر بأخـذ الجزية من هؤلاء الجراجـمة ، وان يجـرى عليهم الارزاق ، اذ كانوا ممَّن يستعان به فى المسالح[1] وغير ذلك ، وزعم أبو الخطَّاب الأَزْدى أنَّ أهل الجُرْجُومَة كانـوا يغيرون فـى أيَّام عبد الملك عـلي قرى انطاكـية والعَمْق ، واذا غزت الصـوائف قطعوا على المتـخلِّف واللاحق ومن قدروا عليه ممَّن فى أواخر العـسكر ، وغالوا فى المسلمين فأمر عبد الملك ، ففرض لقوم من أهل انطاكيـة وانباطها ، وجعلوا مسـالح ، وأردفت بهـم عساكر الصوائف ليؤذنوا الجراجمة عن اواخرها ، فسُمُّوا الروادیف ، وأجرى على كلِّ امرىء منهم ثمانية دنانير ، والخبر الأوَّل اثبت .

وحدَّثنى ابـو حـفص الشامى ، عن محمَّد بن راشـد ، عن مكحول قـال : نقل معـاوية فى سنة ٤٩ او سنة ٥٠ إلى الـسواحل قـوماً من زُطِّ

(١) المسلحة : موضع السلاح ، المرقب ، ج مسالح ، الجماعة والقوم ذوو السلاح .

البصرة والسباتجة ، وأنزل بعضهم أنطاكية ، قال أبو حفص فبأنطاكية محلّة تعرف بالزُطّ وببُوقَا من عمل انطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزُطّ، وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل إلى أنطاكية قوما من الزُطّ السند ممّن حمله محمّد بن القاسم إلى الحجّاج، فبعث بهم الحجّاج إلى الشام .

وحدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، قال : خرج بجبل لُبْنَان قوم شكوا عامل خراج بَعْلَبكَ ، فوجّه صالح بن على بن عبد الله بن عبّاس من قتل مقاتلهم واقرّ من بقى منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم وأجلى قوماً من أهل لُبْنان . فحدّثنى القاسم بن سلاّم أنّ محمّد بن كَثِير حدّثه أنّ الأَوْزاعِىّ كتب إلى صالح رسالة طويلة حُفظ منها ، وقد كان من اجلاء اهل الذمّة من جبل لُبْنان ممّن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممّن قتلتَ بعضهم ، ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامّة بذنوب خاصّة ، حتّى يُخْرَجوا من ديارهم واموالهم وحكم الله تعالى : ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1] وهو أحقّ ما وُقف عنده وأقتدى به وأحقّ الوصايا أن تُحفَظ وترعى وصيّة رسول الله ﷺ فأنّه قال من ظلم معاهداً وكلّفه فوق طاقته ، فانا حجيجه ، ثمّ ذكر كلاماً .

حدّثنى محمّد بن سهم الانطاكى قال : حدّثنى معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق الفزارى قال : كانت بنو اميّة تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية ممّا يلى ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب للغزو ،

(١) سورة النجم الآية ٣٨ . وفى سورة الأنعام الآية ١٦٤ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

وترتّب الحفظة فى السواحل ، ويكون الاغفال والتفريط خلال الحزم والتيقّظ ، فلمّا ولى ابو جعفر المنصور تتبّع حصون السواحل ومدنها فعمّرها وحصّنها وبنى ما احتاج إلى البناء منها وفعل مثل ذلك بمدن الثغور ، ثمّ لهّا استخلف المهدى استتمّ ما كان بقى من المدن والحصون وزاد فى شحنها . قال معاوية بن عمرو ، وقد رأينا من اجتهاد امير المؤمنين هارون فى الغزو ، ونفاذ بصيرته فى الجهاد ، امراً عظيماً أقام من الصناعة ما لم يقم قبله ، وقسم الأموال فى الثغور والسواحل واشجى الروم ، وقمعهم ، وأمر المتوكل على الله بترتيب المراكب فى جميع السواحل وان تشحن بالمقاتلة وذلك فى سنة ٢٤٧ .

الثغور الشامية

حدّثنى مشايخ من أهل انطاكية وغيرهم ، قالوا كانت ثغور المسلمين الشامية أيّام عمر وعثمان « رضيهما »(*) وما بعد ذلك انطاكية وغيرها من المدن الّتى سمّاها الرشيد عَوَاصِمَ ، فكان المسلمين يغزون ما وراءها كغزوهم اليوم ما وراء طرسُوس ، وكان فيما بين الإسْكَنْدَرُونَة وطَرْسوس حصون ومسالح للروم ، كالحصون والمسالح الّتى يمرّ بها المسلمون اليوم ، فربّما اخلاها اهلها وهربوا إلى بلاد الروم خوفاً ، وربّما نُقل إليها من مقاتلة الروم من تشحن به ، وقد قيل أنّ هِرَقْل أدخل أهل هذه المدن معه

(*) رضه : تعنى رضى الله عنه .

عند انتقاله من أنطاكية لئلاً يَسيرَ المسلمون فى عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم ، والله اعلم .

وحدثنى ابن طسون البَغْراسى عن اشياخهم أنَّهم قالوا : الأمر المُتعالم عندنا انَّ هِرَقْل نقل أهل هذه الحصون معه وشعَّثها[1] فكان المسلمون اذا غزوا لم يجدوا بها احداً ، وربمَّا كمن عندها القوم من الروم فأصابوا غرَّة المتخلِّفين عن العسكر والمنقطعين عنها ، فكان ولاة الشواتى والصوائف اذا دخلوا بلاد الروم خلَّفوا بها جنداً كثيفاً إلى خروجهم . وقد اختلفوا فى أوَّل من قطع الدَّرْب ، وهو درب بَغْراس فقال بعضهم : قطعة مَيْسَرَة بن مسروق العبسى ، وجَّهه أبو عبيدة بن الجرَّاح ، فلقى جمعاً للروم ومعهم مستعربة من غَسَّان وتَنُوخ وإياد ، يريدون اللحاق بهرَقْل ، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة : ثمَّ لحق به مالك الأشتَر النَّخَعى مدداً من قبل أبى عبيدة وهو بأنطاكية ، وقال بعضهم أوَّل من قطع الدرب عُمَير بن سعد الانصارى حين توجَّه فى أمر جَبَلَة بن الأَيْهَم . وقال ابو الخطَّاب الأزْدى ، بلغنى أنَّ أبا عبيدة نفسه غزا الصائفة فمرَّ بالمَصِّيصَة وطَرَسُوس ، وقد جلا أهلها واهل الحصون التى تليها فادرب ، فبلغ فى غزاته زَنْدَة . وقال غيره انَّما وجَّه مَيْسَرَة بن مسروق فبلغ زَنْدَة . حدَّثنى أبو صالح الفَرَّاءُ عن رجل من أهل دِمَشْق يقال له عبد الله بن الوليد عن هشام بن الغار ، عن عُبَادَة بن نُسَىّ ، فيما

(١) شعث الشىء : فرقه .

يحسب أبو صالح ، قال : لمّا غزا معاوية غزوة عَمُّوريَّة فى سنة ٢٥ ، وجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية ، فوقّف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقِنَّسْرِين ، حتّى انصرف من غزاته ، ثمّ أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحُرّ العبسى الصائفة ، وأمره ففعل مثل ذلك ، وكانت الوُلاة تفعله . وقال هذا الرجل ، ووجدتُ فى كتاب مغازى معاوية أنّه غزا سنة ٣١ من ناحية المَصّيصَة فبلغ دَرَوْلِيَّة ، فلمّا خرج لا يمرّ بحصن فيما بينه وبين أنطاكية الاّ هدمه .

وحدّثنى محمّد بن سعد الواقدى وغيره قال : لمّا كانت سنة ٨٤ غزا على الصائفة عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فدخل من درب أنطاكية وأتى المَصّيصَة فبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع بها سكّاناً من الجند فيهم ثلاثمائة رجل أنتخبهم من ذوى البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبنى فيها مسجداً فوق تلّ الحصن ، ثم سار في جيشه حتّى غزا حصن سِنان ففتحه ووجّه يزيد بن حُنَين الطائى الانطاكى فأغار ، ثمّ انصرف اليه . وقال أبو الخطّاب الأزدى كان أوّل من ابتنى حصن المَصّيصَة فى الاسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله بن عبد الملك فى سنة ٨٤ ، على أساسها القديم فتمّ بناؤها وشحنها فى سنة ٨٥ ، وكانت فى الحصن كنيسة جُعِلت هُرْياً [1] وكانت الطوالع من أنطاكية تطلع عليها فى كلّ عام

(١) الهرْى : البيت الكبير يجمع فيه القمح وغيره .

فتشتوا بها، ثمّ تنصرف وعدّة من كان يطلع إليها ألف وخمس مائة إلى الألفين . قال : وشخص عمر بن عبد العزيز حتّى نزل هري المَصّيصَة وأراد هدمها ، وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية ، وقال : أكره أن يحاصر الروم أهلها ، فأعلمه الناس أنّها عُمرت ليدفع من بها من الروم عن أنطاكية وأنّه ان اخربها لم يكن للعدوّ ناهية[1] دون انطاكية ، فامسك وبنى لأهلها مسجداً جامعاً من ناحية كفَرْبَيَّا واتّخذ فيه صبهريجاً ، وكان اسمه عليه مكتوباً ، ثم أنّ المسجد خرب في خلافة المعتصم بالله وهو يدعى مسجد الحصن . قال ثمّ بنى هشام بن عبد الملك الربض ، ثمّ بنى مروان بن محمد الخُصوص في شرقي جَيْحان ، وبنى عليها حائطاً واقام عليه باب خشب وخندق خندقاً ، فلما استخلف أبو العبّاس فرض بالمَصّيصَة لاربع مائة رجل زيادة في شحنتها ، واقطعهم . ثمّ لما استخلف المنصور فرض بالمَصّيصَة لاربع مائة رجل ، ثمّ لما دخلت سنة ١٣٩ أمر بعمران مدينة المَصّيصَة، وكان حائطها متشعّثاً من الزلازل وأهلها قليل في داخل المدينة، فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة ١٤٠ ، وسمّاها المعمورة وبنى فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكل كان بها، وجعله مثل مسجد عمر مرّات ، ثم زاد فيه المأمون أيّام ولاية عبد الله بن طاهر بن الحسين المغرب ، وفرض المنصور فيها لالف رجل ، ثمّ نقل أهل الخُصُوص وهم فُرْس وصقالبة ، وانباط نصارى ، وكان مروان اسكنهم

---

(١) مكان ينتهي إليه فيكون امناً للجند .

ايَّاها وأعطاهم خططاً فى المدينة عوضاً عن فنازلهم على ذرعها ، ونقض فنازلهم ، وأعانهم على البناء ، وأقطع الفرض قطائع وفلاكن .

ولما استكلف المهدى فرض بالمَصِّيصَة لألفى رجل ولم يقطعهم لأنَّها قد كانت شُحِنت فن الجند والمطوِّعة ، ولم تزل الطوالع تأتيها فن انطاكية فى كلّ عام حتَّى وليها سالم البَرَلِّلى ، وفرض فوضعه لخمس فائة فقاتل على خاصَّة عشرة دنانير، فكَثُر فن بها وقووا، وذلك فى خلافة المهدى .

وحدَّثنى فحمد بن سهم عن فشايخ الثغر ، قالوا : الحَّت الروم على أهــل المـصـيصة فــى أوّل أيَّام الـدولة المباركـة حتَّى جلوا عنهـا ، فوجَّه صالح بن على جَبْرِيل بن يحيى البَجَلى إليهـا فعمرها وأسكنها الناس فى سنة ١٤٠ ، وبنى الرشيـد كَفَرَبَيَّا ، ويقال بل كانت ابتديت فـى خلافة المهدى ، ثمُ غيَّر الرشيد بناءها وحصَّنها بكندق ، ثمَّ رُفع إلى المأفون فى أفر غلَّة كانت على فنازلهـا فأبطلها ، وكانت فنازلها كـالخانات ، وأفر فجُعل لها سور فـرفع فلم يلتمّ حتَّى توفّى ، فأفر المعـتصم بالله باتمافه وتشريفه . قالوا : وكان الّذى حـصَّن المُثَقَّب هشام بن عبد الملك على يد حلَّان بن فاهُوَيَه الانطاكى ، ووُجد فى خندقه حين حُفِر عظم سَاق ففرط الطول فبُعث به إلى هشــام . وبنى هشام حصن قَطَرْغَاش على يدى عــبد العزيز بن حيَّان الانطاكى ، وبنـى هشام حصن فُورة على يدى رجل فن أهل انطاكية ، وكان ســبب بنائه ايَّاه انَّ الروم عرضوا لرسول له فى درب اللُّكام عند العَقَبَة البيضاء، ورتَّب فيه أربعين رجلاً وجماعة فن الجراجمة،

وقام ببَغْراس مسلحة فى خملين رجلاً وابتنى لها حصناً. وبنى هشام حصن بُوقا فن عمل انطاكية ، ثمَّ جُدِّد واصلح حـديثاً . وبنى فحمد بن يوسف المروزى المعروف بأبى سعـيد حصناً بلاحل آنطاكيـة بعد غارة الروم على ساحلها فى خلافة المتصم بالله «رحه» . حدَّثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرقّة عن أبيـه ، عن جدّه ، أنَّ عـمر بـن عبـد العزيز «رضـه» آراد هدم المَصِّيصَة ، ونقل أهلـها عنها ، لما كانوا يلقون فن الروم فتوفّى قبل ذلك .

وحدَّثنى بعض أهل آنـطاكية وبَغْراس ، أنَّ فَلْلَمَة بن عـبد الملك لما غزا عَمُّورِيَّة حمل فـعه نلاءه ، وكانت بنو افـيَّة تفعل ذلك ارادة الجدّ فى القتال للغيرة على الحرم ، فلمـا صار فى عَقَبة بَغْراس عند الطريق الملتدقّة التى تُشْرِفُ على الوادي سقط فحمل فيـه افرآة إلى الحضيض فأفر فَلْلمَة أن تمشى سائر النلاء فمشين ، فلمِّيت تلك العقبة عَقَبَة النلاء ، وقد كان المعتـصم بالله « رحه » ، بنى عـلي حدّ تلك الطريق حـائطاً قصـيراً فن حجـارة . وقال أبو النعمـان الانطاكى ، كان الطريق فـيما بين آنطاكـية والمَصِّيصَة فُلبعة[1] يعترض للناس فيها الأسـد ، فلمَّا كان الوليد بن عبد الملك ، شكى ذلك إليه ، فوجَّه آربعة آلف جـافوسة وجافوس فنفع الله بها . وكان فحمـد بن القاسم الثَّقَفى ، عافل الحجَّاج على اللند ، بعث فنها بألوف جوافيس[2] فبعث الحجَّاج إلى الوليد فنها بما بعث فن الأربعة

(١) مُـبعَة : تكثر فيها السباع .

(٢) رالأصح : بالوف الجواميس .

ألف وألقى باقيها فى آجام كَسْكَر ، ولما خُلع يزيد بين المهلّب ، فقتل وقبض يزيد بن عبد الملك اموال بنى المهلّب اصاب لهم اربعة الف جاموسة كانت بكور دجلة وكَسكَر ، فوجَّه بها يزيد بن عبد الملك إلى المَصّيصَة ايضاً مع زُطّها ، فكان أصل الجواميس بالمصّيصَة ثمانية الف جاموسة ، وكان أهل انطاكية وقِنّسرين قد غلبوا على كثير منها واختاروه لأنفسهم فى آيّام فتنة مروان بن محمد بن مروان قلما استخلف المنصور أمر بردّها إلى المصيصه وامّا جواميس أنطاكية فكان أصلها ما قدم به الزُطّ معهم وكذلك جواميس بُوقا . وقال : أبو الخطّاب بُنى الجسر الّذى على طريق أَذَنَة من المَصِّيصَة ، وهو على تسعة اميال من المَصِّيصَة سنة ١٢٥ فهو يُدعى جسر الوليد، وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول . وقال أبو النعمان الأنطاكى وغيره بُنِيت أَذَنَة فى سنة ١٤١ أو ١٤٣ ، والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مَسلمَة بن يحيى البَجَلي ، ومن أهل الشام مع مالك بن أَدْهَمْ الباهلى ، وجّههما صالح بن على . ولما كانت سنة ١٦٥ أغزى المهدى ابنه هرون الرشيد بلاد الروم ، فنزل على الخليج ثمُ خرج ، فرمَّ المصِّيصَة ومسجدها وراد فى شحنتها وقوّى أهلها ، وبنى القصر الّذى عند جسر أَذَنَة على سَيْحان ، وقد كان المنصور أغزى صالح بن على بلاد الروم ، فوّجه هلال بن ضيغم في جماعة من أهل دمشق والأردنّ وغيرهم ، فبنى ذلك القصر ولم يكن بناؤه محكماً فهدمه الرشيد وبناه ، ثمَّ لما كانت ١٩٤ بنا ابو سُلَيم فرج الخادم أَذَنَة ،

فأحكم بناءها وحَصَّنها وندب إليها رجالا من أهل خراسان وغيرهم على زيادة فى العطاء ، وذلك بأمر محمد بن الرشيد ، فرمَّ قصر سَيْحان ، وكان الرشيد توفّى سنة ١٩٣ ، وعامله على أعشار الثغور أبو سُلَيم ، فأقرَّه محمد ، وأبو سُلَيم هذا هو صاحب الدار بأنطاكية .

وحدَّثنى محمد بن سعد ، عن الواقدى قال : غزا الحسن بن قَحْطَبَة الطائى بلاد الروم سنة ١٦٢ فى أهل خراسان، وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن ومطوّعة العراق والحجاز ، خرج مما يلى طرسوس فاخبر المهدى بما فى بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة ، من عظيم الغناء عن الاسلام والكبت للعدوّ والوقم[1] له فيما يحاول ويكيد ، وكان الحسن قد أبلى فى تلك الغزاة بلاءً حسناً ودَّوخ ارض الروم حتّى سمُّوه الشَّيْتَن ، وكان معه فى غزاته مَنْدَل العَنَزِى المحدّث الكوفى ، ومُعْتَمِر بن سليمان البصرى .

وحدَّثنى محمد بن سعد قال : حدَّثنى سعد بن الحسن قال : لما خرج الحسن من بلاد الروم ، نزل مرج طرسوس فركب إلى مدينتها ، وهى خراب ، فنظر إليها واطاف بها من جميع جهاتها ، وحزر عدَّة من يسكنها فوجدهم مائة ألف ، فلما قدم على المهدى ، وصف له أمرها وما فى بنائها وشحنتها من غيظ العدوّ وكبته ، وعزّ الاسلام وأهله ، وأخبره فى الحَدَث أيضاً بخبر رغَّبه فى بناء مدينتها ، فأمره ببناء طرسوس وأن يبدأ بمدينة الحَدَث فبنيت ، وأوصى المهدى ببناء طرسوس ، فلما كانت

(١) وقم الرجل : قهره وأذلّه .

سنة ١٧١ بلغ الرشيد أنّ الروم ائتمروا بينهم بالخروج إلى طرسوس لتحصينها وترتيب المقاتلة فيها ، فأغزى الصائفة فى سنة ١٧١[١] هَرْثَمَةَ بن أَعْيَن ، وأمره بعمارة طرسوس وبنائها وتمصيرها ، ففعل وأجرى أمرها على يد فَرَج بن سُلَيم الخادم بأمر الرشيد فوكَّل فَرَج ببنائها ، وتوجّه أبو سُلَيم إلى مدينة السلام فأشخص الندبة[٢] الأولى من أهل خراسان وهم ثلاثة ألف رجل ، فوردوا طرسوس ، ثمّ أشخص الندبة الثانية وهم ألفا رجل ، الف من أهل المَصِّيصَة ، وألف من أهل انطاكية على زيادة عشرة دنانير لكلّ رجل من أصل عطائه ، فعسكروا مع الندبة الأولى بالمدائن على باب الجهاد فى مستهلّ المحرّم سنة ١٧٢ ، إلى ان استتمّ بناءُ طرسوس وتحصينها ، وبناء مسجدها ومسح فَرَج ما بين النهر إلى النهر ، فبلغ ذلك اربعة الاف خطّة ، كلّ خطّة ٢٠ ذراعاً فى مثلها واقطع اهل طرسوس الخطط ، وسكنتها الندبتان فى شهر ربيع الآخر سنة ١٧٢ .

قالوا : وكان عبد الملك بن صالح قد استعمل يزيد بن مَخْلَد الفزارى على طرسوس فطرده من بها من أهل خراسان، واستوحشوا منه للهُبَيرِيّة، فاستخلف أبا الفوارس فأقرّه عبد الملك بن صالح، وذلك فى سنة ١٧٣ .

قال محمّد بن سعد : حدّثنى الواقدى قال : جلا أهل سِيسِيّة ولحقوا

---

(١) وقيل فى سنة : ١٩١ .

(٢) الندبة : الجماعة المنتدبة ، الموكل إليها القيام بمهمة ما .

بأعلى الروم فى سنة ١٩٤ أو ١٩٣ ، وسِيسِيَّة مـدينة تلّ عَيْن زَرْبَة ، وقد عمرت فى خلافـة المتوكل على الله على يدى على بن يحيى الأرمنى ، ثمَّ اخربتها الروم .

قالوا ، فكان الذى أحرق أنـطاكية المحترقـة ببلاد الروم ، عبَّاس بن الوليـد بن عـبـد الملك ، قـالوا : وتلّ جُبَيْـر نُسبت إلى رجل من فُرْس انطاكية كانت له عنده وقعة ، وهو من طرسوس على أقلّ من ١٠ اميال ، قالوا : والحـصن المعروف بذى الكِلاع ، انَّمـا هو الحصن ذو القِلاع لأنَّه على ثلاث قلاع فحرف اسـمه ، وتفسير اسمه بـالرومية الحصن الذى مع الكواكب . وقالوا : سـمِّيت كنيسة الصُلح لأنَّ الروم لَمَّا حـملوا صلحهم إلى الرشيد نزلوها ، ونُسب مرج حسين إلى حسين بن مُسلِم الانطاكى ، وذلك أنَّه كانت له بـه وقعة ونكاية فى العـدوّ ، قالوا : وأغـزى المهدى ابنه هارون الرشـيد فى سنة ١٦٣ فحاصـر أهل صَمَالُو وهى التى تدعوها العـامَّة سَمَالو ، فسألـوه الامان لعشـرة اهل ابيات ، فـيهم القـومس ، فاجابهم إلى ذلك ، وكان فى شرطهم ان لا يفرق بينهم ، فانزلوا ببغداد على باب الشمَّاسية ، فسمُّوا موضـعم سَمَالو فهو معروف ، ويقال : بل نزلوا على حكم المهدى ، فـأستحـياهم وجمعـهم بذلك الموضع وامر أن يسمَّى سَمَالُوا ، وأمـر الرشيد فنودى على من بقى فى الحـصن فبيـعوا ، وأُخِذ حُبْشِيّ كـان يشـتم الـرشـيد والمسلـمين ، فـصُلـب على برج من ابراجه .

وحدَّثنى أحـمد بن الحارث الواسـطى ، عن محمَّد بن سـعد ، عن الواقـدى قال : لما كـانت سنة ١٨٠ أمر الرشـيد بابتناء مـدينة عَيْن زَرْبَة وتحصـينها وندب إليهـا نُدْبَة من أهل خراسان وغـيرهم ، فأقطعـهم بها المنازل ، ثم لما كـانت سنة ١٨٣ أمر ببناء الهـارونية ، فـبُنِيت وشُحِنت أيضاً بالمقـاتلة ومن نزح إليها من المطوّعة ونُسِبت إليـه ، ويقال أنَّه بناها فى خلافة المهدى ، ثمَّ أُتمَّت فى خلافته . قالوا : وكانت الكنيسة السوداء من حجـارة سود بناها الروم على وجه الدهر ، ولها حـصن قديم أُخْرِب فى ما أُخْرِب ، فأمر الرشيد ببناء مدينة الـكنيسة السوداء وتحصينها وندب اليها المقاتلة فى زيادة العطاء .

وأخبرنى بعض أهل الثغر عَزُّون بن سـعد انَّ الروم اغارت عليها ، والقاسم بن الرشيد مـقيم بدابِق فاستاقوا مواشـى أهلها وأسروا عدَّة منهم فنفر إليـهم أهل المَصِّيصَة ، ومطوّعتهـا فاستنقـذوا جميع ما صـار إليهم وقتلوا مـنهم بشراً ، ورجع البـاقون منكوبين مـفلولين فوجّه الـقاسم من حصَّن المدينة ورمَّها ، وزاد فى شحنتها ، وقد كان المعتصم بالله نقل إلى عين زَرْبَة ونواحيـها بشراً من الزُّطّ الَّذين قد كـانوا غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع اهلها بهم .

حدَّثنى أبو صـالح الأنطاكى قال : كـان أبو اسحـاق الفزارى يكره شرى[1] أرض بالثغر ، ويقول غلب علـيه قوم فى بدء الأمر وأجلوا الروم

---

(١) شرى : ابتياع .

عنه ، فلم يقتسموه ، وصار إلى غيرهم ، وقد دخلت فى هذا الأمر شبهة العاقل حقيق بتركها ، وكانت بالثغر ايغارات قد تحيَّفت ما يرتفع من أعشاره حتَّى قصرت عن نفقاته فأمر المتوكل فى سنة ٢٤٣ بابطال تلك الايغارات فأُبطِلت .

فتوح الجزيرة

حدَّثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرَّقَّة ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن مَيْمُون بن مِهْران قال : الجزيرة كلُّها فتوح عِيَاض بن غَنْم بعد وفاة أبى عبيدة ، ولاَّه آيَّاها عمر بن الخطَّاب ، وكان أبو عبيدة استخلفه على الشام ، فولّى عمر بن الخطَّاب يزيد بن أبى سفيان ، ثمَّ معاوية من بعده الشام ، وامر عِيَاضاً بغزو الجزيرة .

وحدَّثنى الحسين بن الأسود ، قال حدَّثنا يحيى بن آدم عن عدَّة من الجزريّين ، عن سليمان بن عَطَاء القرشى ، قال : بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة ، فمات أبو عبيدة وهو بها فولاَّه عمر ايَّاها بعدُ .

وحدَّثنى بكر بن الهَيْثَم قال : حدَّثنا النُّفَيْلى عبد الله بن محمَّد قال : حدثنا سليمان بن عَطَاء قال : لمَّا فتح عياض بن غنم الرُّهَا ، وكان أبو عبيدة وجَّهه وقف على بابها ، على فرس له كميت ، فصالحوه على أنَّ لهم هيكلهم وما حوله ، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ، الاَّ ما كان

لهم ، وعلى معونة المسلمين على عدوّهم ، فان تركوا شيئاً ممّا شرط عليهم فلا ذمّة لهم ، ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرُّها .

وقال : محمّد بن سعد قال الواقدى : اثبت ما سمعنا فى امر عياض ، انّ ابا عبيدة مات فى طاعون عَمَوَاس سنة ١٨ ، واستخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بتوليته حمص وقِنَّسْرِين والجزيرة ، فسار إلى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ١٨ فى خمسة آلاف ، وعلى مقدمته مَيْسَرَة بن مسروق العبسى ، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحى ، وعلى ميسرته صَفْوان بن المُعَطَّل السُّلَمى ، وكان خالد بن الوليد على ميسرته ، ويقال انّ خالداً لم يسر تحت لواء أحد بعد أبى عبيدة ، ولزم حمص حتّى توفّى بها سنة ٢١ ، وأوصى إلى عمر وبعضهم يزعم أنّه مات بالمدينة وموته بحمص أثبت . قالوا : فانتهت طليعة عياض إلى الرَّقّة فاغاروا على حاضر كان حولها للعرب ، وعلى قوم من الفلاّحين فأصابوا مغنماً ، وهرب من نجا من أولئك فدخلوا مدينة الرَّقّة ، واقبل عياض فى عسكره حتّى نزل باب الرُّهَا وهو احد أبوابها فى تعبئة ، فرُمِى المسلمون ساعة ، حتّى جُرِح بعضهم ، ثمّ أنّه تأخّر عنهم لئلاّ تبلُغَه حجارتهم وسهامهم ، وركب فطاف حول المدينة ، ووضع على أبوابها روابط ، ثمّ رجع إلى عسكره وبثّ السرايا ، فجعلوا يأتون بالأسرى من القرى ، وبالأطعمة الكثيرة ، وكانت الزروع مستحصدة ، فلما مضت خمسة أيّام ، أو ستّة وهم على ذلك ارسل بطريق المدينة إلى

عيـاض بطلب الأمان ، فصالحه عيـاض على أن أمّن جميـع أهلها على أنفسهـم وذراريهم وأموالهـم ومدينتهم وقال عياض : الأرض لنا قد وطئناها وأحرزناها فـأقرّها فى أيديهم عـلى الخراج ، ودفع منها مـا لم يردّه أهل الذمّة فرفضـوه إلى المسلمين على العشر ووضع الجزية علـى رقابهم فالزم كلّ رجل منهم ديناراً فى كل سنة ، وأخرج النساء والصبيان ، ووظّف[1] عليهـم مع الدينار اقـفزة من قمح ، وشيئـاً من زيت ، وخل ، وعسل . فلّما ولى معاوية جعل ذلك جزية عليهـم ، ثمّ انّهم فتحوا ابواب المدينة ، واقاموا للمسلمين سوقاً على باب الرُّهَا ، فكتب لهم عياض :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أُعطى عِيَاض بن غَنْم ، أهل الرَّقّة يوم دخلها ، اعطاهـم اماناً لانفسـهم ، واموالهم وكنائسـهم ، لا تخرب ولا تسكن إذا اعطَوا الجـزية الّتى عليـهم ، ولم يحـدثوا مـغـيلة ، وعلى أن لايحـدثـوا كنيسـة ولا بيـعـة ، ولا يظهروا ناقـوساً ولا بـاعـوثاً ، ولا صليباً ، شهـد الله وكفى بالله شهيداً . وختم عـياض بخاتمه .. ويقال أنّ عياضاً ألزم كل حالم من أهل الرَّقّة أربعـة دنانير ، والثبت أنّ عمر كتب بعـدُ إلى عُمَير بن سـعد وهو واليـه ، ان ألزم كلّ امرىء منهم اربـعة دنانير ، كما ألزم أهل الذهب . قـالوا : ثمّ سار عياض إلى حَرّان فنزل بأُجدّى وبعث مقدمته . فأغلق أهل حَرّان أبوابها دونهم ثمّ ، اتبعهم فلمّا نزل بهـا بعث إليه الحَرْنانيّة من أهلهـا يعلمونه أنّ فى أيديهم طائـفة من

---

(١) وظف عليهم : فرض عليهم .

المدينة ، ويسألونه أن يصير إلى الرُّهَا فما صالحوه عليه من شئ قنعوا به وخلُّوا بينه وبين النصارى حتَّى يصيروا إليه ، وبلغ النصارى ذلك فارسلوا إليه بالرضى بما عرض الحَرْنانيَّة وبذلوا ، فأتى الرُّهَا وقد جمع له اهلها فرموا المسلمين ساعة ، ثمَّ خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتَّى الجأوهم إلى المدينة ، فلم ينشبوا[1] آن طلبوا الصلح والأمان فأجابهم عياض إليه وكتب لهم كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم ، لأسقف الرُّهَا انَّكم ان فتحتم لى باب المدينة على أن تؤَدّوا إلىَّ عن كلّ رجل ديناراً ، ومديى قمح ، فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم وعليكم ارشاد الضالّ ، واصلاح الجسور والطرق ، ونصيحة المسلمين ، شهد الله وكفى بالله شهيداً .

وحدَّثنى داود بن عبد الحميد عن أبيه ، عن جدّه ، انَّ كتاب عياض لأهل الرُّهَا :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لاهل الرّهَا ، انّى امنتهم على دمائهم واموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم ، اذا أدّوا الحقّ الَّذى عليهم ان يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالّنا ، شهد الله وملائكته والمسلمون . قال : ثمَّ أتى عياض حرَّان ووجَّه صَفْوان بن المُعَطَّل ، وحَبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى إلى

(١) لم ينشبوا : لم يلبثوا .

سُمَيْسَاط ، فصالح عـياض أهل حَرَّان على مثل صلح الرَّهَا ، وفـتحوا له أبوابها وولاّها رجلاً ، ثمَّ سار إلى سُمَيْسَاط فوجد صَفْوان ابن المُعَطَّل ، وحَبِـيب بن مَسْلَمَة مقـيمَين ، وقـد غَلَبَا على قرى وحـصون من قـراها وحصونـها ، فصالحـه أهلها على مثل صلح أهل الرّهَا ، وكان عـياض يـغـزو من الرّهَا ثمَّ يرجـع إليـهـا . وحـدَّثنى مـحمَّد بـن سعـد ، عن الواقدى ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى قال : لم يبق بالجزيرة موضع قدم الأ فتح على عهد عمـر بن الخطَّاب (رضه) على يدى عياض بن غنم ، فتح حَرَّان والرّهَا والرَّقَّة وقَرْقِيسِيَا ونَصِيبِين وسِنْجار .

وحدّثنى محمَّد ، عن الواقدى ، عن عبد الرحمن بن مَسْلَمَة ، عن فُرَات ابن سَلْمَان ، عن ثابت بن الحجَّاج قال : فـتح عياض الرَّقَّة وحَرَّان والرّها ونَصِيبِين ومَيَّافـارِقِين وقَرْقِيسِيَا ، وقرى الفرات ومـدائنها صلحاً ، وارضها عنوة .

وحدّثنى مـحمَّد ، عن الواقدى ، عن ثَوْر بـن يزيد ، عن راشد بن سعد أنَّ عياضاً افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة . وقد رُوى أنَّ عياضاً لمَّا أتى حَرَّان من الرَّقَّة ، وجدها خالية قد انتقل أهلها إلى الرّها ، فلمَّا فتحت الرّها ، صالحوا عن مدينتهم وهم بها ، وكان صلحهم مثل صلح الرّها .

وحدّثنى أبو أيُّوب الـرَّقّى المؤدِّب قال: حدَّثنى الحـجَّاج بن أبى منيع الرُّصافى عن ابيه، عن جدّه، قال: فتح عياض الرَّقَّة ثمَّ الرّها، ثمَّ حَرَّان،

ثمّ سَمَيْساط على صلح واحد ، ثمّ أتى سَروج وراسكيفا والأرض البيضاء ، فغلب على أرضها وصالح أهل حصونها على مثل صلح الرها ، ثمّ انّ سُمَيساط[1] كفروا ، فلمّا بلغه ذلك رجع إليه فحاصرهاحتّى فتحها ، وبلغه أنّ أهل الرها قد نقضوا ، فلمّا أناخ عليهم فتحوا له أبواب مدينتهم ، فدخلها وخلّف بها عامله فى جماعة ، ثمّ أتى قُرَيَّات الفرات وهى جسر مَنْبِج وذواتها ، ففتحها على ذلك ، وأتى عين الوَرْدَة وهى رَأسُ الْعَيْنِ فامتنعت عليه فتركها ، وأتى تلّ مَوْزِن ففتحها على مثل صلح الرها وذلك فى سنة ١٩ ، ووجّه عياض إلى قَرْقِيسِيَا حَبيبَ بن مَسْلَمَة الفِهْرى ، ففتحها صلحاً على مثل صلح الرَّقّة ، وفتح عياض آمِد بغير قتال على مثل صلح الرها ، وفتح مَيَّافارِقِين على مثل ذلك ، وفتح حصن كَفَرْتُوثَا ، وفتح نَصِيبِين بعد قتال على مثل صلح الرها ، وفتح طُور عَبْدِين ، وحصن مَارِدين ودارا ، على مثل ذلك ، وفتح قَرْدَى وبازَبْدَى ، على مثل صلح نَصِيبِين ، وأتاه بطريق الزَّوَزان فصالحه عن أوضه على أتاوة وكلّ ذلك فى سنة ١٩ ، وأيّام من المحرّم سنة ٢٠ ثمّ سار إلى أَرْزَن ففتحها على مثل صلح نَصِيبِين ، ودخل الدرب فبلغ بَدْلِيس وجازها إلى خِلاط وصلح بطريقها ، وانتهى إلى العين الحامضة من ارمينية فلم يعدُها ، ثمّ عاد فضمّن صاحب بدَلْيس خراج خِلاط وجماجمها وما على بطريقها ، ثمّ انّه انصرف إلى الرَّقّة ،

---

(١) يقصد أهل سمياط .

ومضى إلى حمصَ وقد كـان عمر ولاه ايَّاها ، فمات سنة ٢٠ وولّى عمر سعيـد بن عامر بن حِذْى ، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتّى مات ، فـولّى عمر عُمَيْر بن سعد الأنصارى ففتح عين الوَرْدَة بعد قتال شديد .

وقال الواقدى : حـدّثنى من سمع اسحاق بن أبـى فرْوَة يحدّث عن أبى وهب الجَيشـانى دَيْلَم بن المُوَسَّع ، أنَّ عمـر بن الخطَّاب « رضه » ، كتب إلى عياض يأمره أن يوجّه عُمَيْـر بن سعد إلى عين الوَرْدَة ، فوجّهه إليها فقدَّم الطلائع امامه ، فـاصابوا قوماً من الفلاّحين وغنموا مواشىَ من مواشـى العدوّ ، ثـمّ أنَّ أهل المدينة غلَّقـوا أبوابها ونـصبوا الـعرّادات[1] عليها ، فقُتل من المسلمين بالحجـارة والسهام بشر ، واطلع عليهم بطريق من بطارقتها فـشتمهم ، وقال : لسنا كمن لقيتم ، ثمّ إنّهـا فتحت بعدُ على صلح .

حدّثنى عمرو بن مـحمَّد عن الحجَّاج بن أبى مَنِيع ، عن ابيه ، عن جدّه قال : امتـنعت رأس العين على عياض بن غنم ، ففتحـها عُمَيْر بن سعد ، وهو والى عمر على الجزيرة ، بعـد أن قاتل أهلها المسلمين قتالا شديداً ، فدخلها المسلمون عنـوة ، ثمّ صالحوهم بعد ذلك على أن دفعت الأرض اليـهم ، ووضعت الجـزية على رؤوسهم ، على كل رأس أربـعة دنانير ، ولم تُسْبَ نساؤهم ولا أولادهم .

---

(١) الهرّادات : ج عرّادة ، وهى آلة لرمى الحجارة .

وقال الحجّاج : وقد سمعت مشايخ من أهل رأس العين يذكرون آنّ عُمَيراً لمّا دخلها قال لهم ، لا بأس لا بأس ، إليّ اليّ ، فكان ذلك أماناً لهم وزعم الهَيْثَم بن عَدِيّ ، انّ عمر بن الخطّاب « رضه » ، بعث أبا موسى الأشعرى إلى عين الوَرْدَة ، فغزاها بجند الجزيرة بعد وفاة عياض والثبت انّ عُمَيراً فتحها عنوة فلم تُسْبَ وجعل عليهم الخراج والجزية ، ولم يقل هذا احد غير الهَيْثَم . وقال الحجّاج بن أبى مَنِيع جلا خلق من أهل رأس العين ، وأعتمل المسلمون أراضيهم وإزدرعوها باقطاع .

وحدّثنى محمّد بن المُفَضّل المَوْصِلى عن مشايخ من أهل سِنْجَار ، قالوا : كانت سِنْجَار فى ايدى الروم ، ثمّ أنّ كسرى المعروف بأبَرْوِيز اراد قتل مائة رجل من الفرس كانوا حُملوا إليه بسبب خلاف ومعصية ، فكُلِم فيهم ، فأمر أن يوجّهوا إلى سِنْجار ، وهو يومئذ يعانى فتحها فمات منهم رجلان ووصل إليها ثمانية وتسعون رجلاً ، فصاروا مع المقاتلة الّذين كانوا بازائها ففتحوها دونهم واقاموا بها وتناسلوا ، فلمّا انصرف عياض من خِلاط وصار إلى الجزيرة ، بعث إلى سِنْجار ، ففتحها صلحا واسكنها قوماً من العرب ، وقد قال بعض الرواة آنّ عياضاً فتح حصنا من المَوْصِل ، وليس ذلك بثبت . قال ابن الكلبى عُمَير بن سعد عامل عمر ، هو عُمَير بن سعد بن شُهَيد بن عمرو واحد الأوْس ، وقال الواقدى هو عُمَير بن سعد بن عُبَيد ، وقتل أبوه سعد يوم القادسية ،

وسعـد هذا هو الذى يروى الكوفيّون انّه احـد من جمع القرآن على عـهد رسول الله ﷺ . قـال الواقدى : وقد روى قوم أنّ خـالد بن الوليد ولى لعمر بعض الجزيرة فاطّلى[1] فى حمّام بآمِد أو غيرها بشىء فـيه خمر ، فعزله عمر وليس ذلك بثبت .

وحدّثنى عمرو الناقد قال : حدّثنى الحَجّاج بن ابى مَنِيع عن أبيه عن جـدّه عن مَيْمُون بن مِهْران قـال ، أخـذ الزيت والخلّ والطـعـام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدّة ، ثمّ خفّف عنهم واقـتصر بهم على ثمانية وأربعين درهماً ، وأربعة وعشرين واثنا عـشر ، نَظَراً من عمر للناس ، وكان على كلّ انسان مع جزيته مدّاً قمح وقسطان من زيت وقسطان من خلّ .

وحدّثنى عدّة من أهل الرَّقّة ، قالوا : لمّا مـات عياض وولى الجزيرة سعيد بن عامر بن حِذْيَم، بنى مسجد الرَّقّة ومسجد الرُّها ثمّ توفّى فبنى المساجد بديار مُضَر وديار ربيعة عُمَير بن سعد . ثمّ لمّا ولى معاوية الشام والجزيرة لعـثمـان بن عفّان «رضـه» امره أن ينـزل العرب بمواضع نائيـة عن المدن والقرى، ويأذن لهم فى اعتـمال الأرضين التى لا حق فيهـا لأحد فأنزل بنى تميم الرابيه، وانزل المازجين والمدَيْبر اخلاطاً من قيس وأسَد وغيرهم ، وفعل ذلك فى جـميع نواحى ديار مـضر ، ورتّب ربيعـة فى ديارها على ذلك . وألزم المدن والقرى والمسالح من يقـوم بحفظها ويذبّ[2] عنها من أهل العطاء ثمّ جعلهم من عمّاله .

---

(١) اطّلى : تلطّخ .

(٢) يذبّ : يدافع ويناضل .

وحدَّثني أبو حفص الشامي عن حمَّاد بن عمرو النَّصيبي قال : كتب عامل نَصيبين إلى معاوية وهو عامل عثمان على الشام والجزيرة يشكو اليه انَّ جماعة من المسلمين ممنَّ معه اصيبوا بالعقارب ، فكتب إليه يأمره أن يوظِّف على أهل كلّ حَيِّز من المدينة عدَّة من العقارب مسمَّاة فى كلّ ليلة ففعل ، فكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها .

وحدَّثني أبو ايُّوب المؤدّب الرَّقّي عن أبي عبد الله القَرْقَساني عن أشياخه انّ عُمَير بن سعد لمَّا فتح رأس العين سلك الخابور وما يليه حتَّى اتى قَرْقيسِيَا ؛ وقد نقض أهلها فصالحهم على مثل صلحهم الأوّل ، ثم اتى حصون الفُرات حصناً حصناً ففتحها على ما فتحت عليّ قَرْقيسِيَا ، ولم يلق فى شيء منها كثير قتال ، وكان بعض أهلها ربَّما رموا بالحجارة ، فلمَّا فرغ من تلبس وعانَات ، أتى النَّاوسَة وآلُوسَة وهِيت ، فوجد عمَّار بن ياسر ، وهو يومئذ عامل عمر بن الخطَّاب على الكوفة ، وقد بعث جيشاً يستغزى ما فوق الأنْبَار ، عليه سعد بن عمرو بن حَرَام الأنصاري وقد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الأمان ، فأمنهم واستثنى على أهل هِيت نصف كنيستهم فانصرف عُمَير إلى الرَّقَّة .

وحدَّثني بعض أهل العلم قال : كان الذى توجَّه إلى هِيت والحصون التى بعدها من الكوفة مِدْلاج بن عمرو السُّلَمى حليف بنى عبد شمس ، وله صحبة ، فتولَّى فتحها وهو بنا[1] الحديثَة التى على الفُرات

---

(١) والصواب : بنى .

وولده بهيت وكان منهم رجل يكنّى أبا هارون باقى الذكر هناك .
ويقال : أنّ مِذلاجاً كان من قبل سعد بن عمرو بن حَرَام ، والله أعلم .

قالوا : وكان موضع نهر سعيد بنْ عبد الملك بن مروان (وهو الذى يقال له سعيد الخير وكان يظهر نسكاً) غيضة ذات سباع فاقطعه أيّاها الوليد فحفر النهر وعمّر ما هناك ، وقال بعضهم ، الّذى اقطعه ذلك عمر ابن عبد العزيز . قالوا : ولم يكن للرّافِقَة أثر قديم ، انّما بناها أمير المؤمنين المنصور «رحه» سنة ١٥٥ على بناء مدينته ببغداد ورتّب فيها جنداً من أهل خراسان ، وجرت على يدى المهدى وهو ولىّ عهد ثمّ انّ الرشيد بنى قصورها فكان بين الرّقّة والرافقة ، فضاء مزارع ، فلمّا قدم على بن سليمان بن على والياً على الجزيرة نقل اسواق الرّقّة إلى تلك الأرض ، فكان سوق الرّقّة الأعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق ثمّ لمّا قدم الرشيد الرّقّة استزاد فى تلك الأسواق ، فلم تزل تجتبى مع الصوافى ، وأمّا رُصَافَة هشام بن عبد الملك أحدثها ، وكان ينزل قبلها الزّيْتُونَة ، وحفر الهَنِىّ والمَرِىّ ، واحدث فيها واسط الرّقّة ، ثمّ إنّ تلك الضيعة قبضت فى أوّل الدولة ثمّ صارت لامّ جعفر زُبَيْدَة بنت جعفر بن المنصور ، فابتنت فيها القطيعة التى تنسب إليها وزادت فى عمارتها ولم يكن للرّحْبَة التى فى أسفل قَرْقِيسِيَا أثر قديم انّما بناه واحدثها مالك بن طَوْق بن عتّاب التغلبى فى خلافة المأمون ، وكانت أَذْرَمَة من ديار ربيعة قرية قديمة فأخذها الحسن بن عمر بن الخطّاب التغلبى من صاحبها وبنى

بها قصراً وحصّنها ، وكانت كَفَرْتُوثا حصناً قديماً فاتَّخذها ولد أبى رِمْثَة منزلا فمدّنوها وحصّنوها .

حدّثنى مُعَافَى بن طاوس عن أبيه قال : سألت المشايخ عن أعشار بَلَد وديار ربيعة والبرية ، فقال هى أعشار ما أسلمت عليه العرب أو عمّرته من الموات الّذى ليس فى يد احد أو رفضه النصارى ، فمات وغلت عليها الدغل فاقطعه العرب .

حدّثنى أبو عفّان الرقّى عن مشايخ من كُتّاب الرّقّة وغيرهم . قالوا : كانت عين الرومية وماؤها للوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيط ، فأعطاها ابا زُبَيْد الطائى ، ثمّ صارت لأبى العبّاس أمير المؤمنين فأقطعها مَيْمُون بن حمزة مولى علىّ بن عبد الله بن عبّاس ، ثمّ ابتاعها الرشيد من ورثته وهى من أرض الرقّة . قالوا : وكان ابن هبيرة أقطع غابة ابن هُبيرة فقُبِضت وأُقطعها بِشَر بن مَيْمون صاحب الطاقات ببغداد بناحية باب الشام ، ثمّ ابتاعها الرشيد وهى من أرض سَرُوج ، وكان هشام اقطع عائشة ابنته قَطِيعة بِراً سكيفا تُعْرَفُ بها فقبضت ، وكانت لعبد الملك وهشام قرية تدعى سَلَعُوس ونصف قرية تدعى كَفَرْجَدّاً من الرّها ، وكانت بحَرّان للغَمْر بن يزيد تلّ عفراء وأرض تلّ مذابا[1] وأرض المُصَلّى وصوافى فى ربض حَرّان ومستغلاّتها ، وكان مرج عبد الواحد حمى

---

(١) هكذا فى الأصل .

المسلمين قبل أن تبنى الحَدَث وزِبَطْرَة ، فلمّا بُنِيتا استغنى بهما فعُمر ، فضمّه الحسين الخادم إلى الاحواز فى خلافة الرشيد ، ثمّ توثّب الناس عليه فغلبوا على مزارعه حتّى قدم عبد الله بن طاهر الشام ، فردّه إلى الضياع ، وقال أبو أيّوب الرقّى سمعتُ انّ عبد الواحد الّذى نُسب المرج إليه ، عبد الواحد بن الحارث ابن الحكَم بن أبى العاصى وهو ابن عمّ عبد الملك ، كان المرج له فجعله حى للمسلمين وهو الّذى مدحه القُطامىّ فقال :

أَهْلُ المَدِينَة لاَ يَحزُنْكَ شَأْنُهُمُ ... إِذَا تَخَطَّأَ عَبْدَ الوَاحِدِ الأَجَلُ

أمرُ نصارَى بنِي تغلِب بن وائِل

حدّثنا شَيْبان بن فَرُّوح قال : حدّثنا أبو عُوانة عن المغيرة عن السَّفّاح الشَيْبانى أنّ عمر بن الخطّاب « رضه » أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بنى تغلب فانطلقوا هاربين ولحقت طائفة منهم ببُعدٍ من الأرض فقال النعمان بن زُرْعَة أو زُرْعَة بن النعمان ، أنشدُك الله فى بنى تغلب فانّهم قوم من العرب نائفون من الجزية ، وهم قوم شديدة نكايتهم فلا يُغن عدوُّك عليك بهم ، فأرسل عمر فى طلبهم فردّهم وأضعف عليهم الصدقة .

حدّثنا شَيْبان قال : حدّثنا عبد العزيز بن مُسْلِم قال : حدّثنا لَيْث

عن رجل ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عبَّاس قال : لا تـوكل[1] ذبائح نصارى بنى تغلب ولا تنكح نساؤهم ليسوا منَّا ولا من اهل الكتاب .

حدّثنا عبَّاس بن هشام عن أبيه عن عُوانة بن الحكَم وأبى مخنَف قالا: كتب عُمَير بن سعد إلى عمر بن الخطَّاب « رضه » يعلمه انَّه اتى شِقّ الفُرات الشامى ؛ ففتح عانات وسائر حصون الفرات ، وانه اراد مَنْ هناك من بنى تغلب على الاسلام فأبوه وهمُّوا باللحاق بأرض الروم وقبلهم ما أراد مَنْ فى الشِقّ الشرقى عل ذلك ، فامتنعوا منه وسألوه أن يأذن لهم فى الجلاء واستطلع رأيه فيهمْ ، فكتب إليه عمر « رضه » يأمره أن يضعف عليهم الصدقة التى تؤخذ من المسلمين فى كلّ سائمة وأرض ، وأن أبوا ذلك حاربهم حتّى يبيدهم أو يُسلِموا ، فقَبِلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا أمَّا إذ لم تكن جزية كجزية الأعلاج ، فانَّا نرضى ونحفظ ديننا .

حدّثنى عمرو الناقد قال ، حدّثنى أبو معاوية ، عن الشيبانى ، عن السفَّاح ، عن داود بن كُرْدُوس قال : صَالح عمر بن الخطَّاب بنى تغلب بعد ما قطعوا الفرات وارادوا اللحاق بارض الروم على أن لا يصبغوا صبيًّا ولا يكرهوه على دينهم وعلى أنّ عليهم الصدقة مضعفة . قال : وكان داود بن كُرْدُوس يقول ليست لهم ذمَّة ، لانَّهم قد صبغوا فى دينهم يعنى

(۱) أى : لا تؤكل .

المعمودية . فحدّثني الحسين بن الأسود قال : حدّثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك ، عن يونس بن يزيد الأيْلى ، عن الزُّهْرى ، قال ليس فى مواشى أهل الكتاب صدقة ، إلاّ نصارى بن تغلب أو قال نصارى العرب الذين عامّة أموالهم ، المواشى فانّ عليهم ضعف ما على المسلمين .

حدّثنا سعيد بن سليمان سَعْدَوَيْه عن هُشَيم عن مُغيرة ، عن السفّاح ابن المُثَنّى ، عن زُرْعَة بن النعمان ، انّه كان كلّم عمر فى نصارى بنى تغلب ، وقال قوم عرب نائفون من الجزية وانّما هم أصحاب حروث ومواش ، وكان عمر قد همّ أن يأخذ الجزية منهم ، فتفرّقوا فى البلاد فصالحهم على أن أضعف عليهم ما يؤخذ من المسلمين من صدقاتهم فى الأرض ، والماشية ، واشترط عليهم ان لا ينَصّروا اولادهم . قال مُغيرة فكان على «عم»[1] يقول : لَئن تفرّغتُ لبنى تغلب ليكوننّ لى فيهم رأى لاقتلنّ مقاتلتهم ولاسبينّ ذرّيتهم فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذّمة حين نَصّروا أولادهم .

وحدّثنى أبو نصر التّمّار قال : حدّثنا شَريك بن عبد الله ، عن ابراهيم بن مهاجر ، عن زيادة بن حُدَير الأسَدى ، قال : بعثنى عمر إلى نصارى بنى تغلب آخذ منهم نصف عشر أموالهم ، ونهانى أن أعشّر مسلماً أو ذمّيّاً يؤدّى الخراج .

حدّثنى محمّد بن سعد عن الواقدى ، عن ابن أبى سَبْرَة ، عن عبد الملك بن نَوْفَل ، عن محمّد بن إبراهيم بن الحارث ، أنّ عثمان أمر أن

---

(١) عم : عليه السلام .

لا يقبل من بنى تغلب فى الجزية إلاّ الذهب والفضّة ، فجاءه الثبت أنّ عمر أخذ منهم ضعف الصدقة فرجع عن ذلك . قال الواقدى ، وقال سفيان الثّورى ، والأوزاعى ، ومالك بن أنس ، وابن أبى ذئب ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف ، يؤخذ من التغلبى ضعف ما يؤخذ من المسلم فى أرضه وماشيته وماله ، فأمّا الصبىّ والمعتوه منهم ، فأن أهل العراق يرون أن يؤخذ ضعف الصدقة من أرضه ، ولا يأخذون من ماشيته شيئاً ، قال أهل الحجاز : يؤخذ ذلك من ماشيته وأرضه ، وقالوا جميعاً أنّ سبيل ما يؤخذ من أموال بنى تغلب سبيل مال الخراج ، لأنه بدل من الجزية .

الثغور الجزرية

قالوا : لمّا إستخلف عثمان بن عفّان « # » كتب إلى معاوية بولايته الشام ، وولّى عُمَير بن سعد الأنصارى الجزيرة ، ثمّ عزله وجمع لمعاوية الشام ،والجزيرة وثغورهما ، وامره ان يغزو شمْشاط وهى أرمينية الرابعة أو يُغزيها ، فوجّه إليها حَبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى ، وصَفْوان بن مُعَطَّل السُّلَمى ، ففتحاها بعد أيّام من نزولهما عليها على مثل صلح الرُّها . وأقام صَفْوان بها ، وبها توفّى فى آخر خلافة معاوية ، ويقال : بل غزاها معاوية نفسه ، وهذان معه فولاّها صَفْوان ، فأوطنها وتوفّى بها ، قالوا : وقد كان قُسْطَنْطِين الطاغية اناخ عليها بعد نزوله فى مَلَطِيَّة فى سنة

١٣٣ فلم يمكنه فيها شيء ، فاغار على ما حولها ثمّ انصرف ، ولم تزل شِمْشاط خراجيّة حتّى صيّرها المتوكل على الله « رحه » ، عشريّة اسوة غيرها من الثغور .

وقالوا : غزا حَبيب بن مَسْلَمَة حصن كَمْخ ، بعد فتح شِمْشاط فلم يقدر عليه ، وغزاه صَفْوان فلم يمكنه فتحه ، ثمّ غزاه فى سنة ٥٩ وهى السنة التى مات فيها ومعه عُمَير بن الحُبَاب السُّلَمى فعلا عُمَير سوره ، ولم يزل يجالد عليه وحده حتّى كشف الروم ، وصعد المسلمون ، ففتحُه لعُمَيَر بن الحُبَاب ، وبذلك كان يفخر ويُفْخَر له . ثمّ أن الروم غلبوا عليه ففتحه مَسْلَمَة بن عبد الملك ، ولم يزل يفتح وتغلب الروم عليه ، فلمّا كانت سنة ١٤٩ ، شخص المنصور على بغداد حتّى نزل حَديثة المَوْصِل ، ثمّ أغزى منها الحسن بن قَحْطَبَة ، وبعده محمّد بن الأشعث ، وجعل عليهما العبّاس بن محمّد ، وأمره أن يغزو بهم كَمْخ ، فمات محمّد بن الأشعث بآمِد ، وسار العبّاس والحسن حتّى صارا إلى مَلَطِيَّة فحملا منها الميرة ، ثمّ اناخا على كَمْخ ، وأمر العبّاس بنصب المنجنيق عليه ، فجعلوا على حصنهم خشب العرعر لئلاً يضرّ به حجارة المنجنيق ، ورموا المسلمين فقتلوا منهم بالحجارة مائتى رجل فاتّخذ المسلمون الدبابات ، وقاتلوا قتالا شديداً حتّى فتحوه ، وكان مع العبّاس بن محمّد ابن على فى غزاته هذه مَطَر الورّاق ، ثمّ إنّ الروم اغلقوا كَمْخ ، فلمّا كانت سنة ١٧٧ غزا محمّد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عَمْرَة

الأنصـارى ، وهو عامل عـبد الملك ابن صـالح على شِمْشاط ، فـفتـحه ودخله لأربع عشـرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخـر من هذه السنة ، فلم يزل مفتوحـاً حتّى كان هيج محمَّد بن الرشيد فـهرب اهله ، وغلبت عليه الروم ، ويقال : أنَّ عبيد الله بن الأقْطَع دفعه إليهم ، وتخلَّص ابنه وكان اسيراً عندهم ، ثمَّ أنَّ عـبد الله بن طاهر فتحه فى خـلافة المأمون ، فكان فى أيدى المسلمين حتّى لطف قوم من نصارى شِمْشاط وقَاليقَلاَ وبِقْراط بن أشُوط بطريق خِلاط في دفـعه إلى الروم والتـقـرُّب إليهم بذلك بسـبب ضياع لهم فى عمل شِمْشاط .

ملَطية

وقـالوا : وجَّه عِيَاض بن غَنْم ، حَبـيـب بن مَسْلَمَة الفِهْرى ، من شِمْشـاط إلى مَلَطيَّة ففـتحـهـا ، ثمّ أغلقت . فلمَّا ولى مـعاوية الشـام والجزيرة وجّه إليها حَبِيب بن مَسْلَمَة ، ففتحها عنوة ورتَّب فيها رابطة من المسلمين مع عـاملها وقدمـها مـعاوية وهو يريد دخـول الروم ، فشـحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما فكانت طريق الصوائف . ثمّ أنّ أهلها انتقلوا عنها فى أيَّام عبد الله بن الزبير ، وخرجت الروم فشعَّثتها[1] ثمّ تركتها فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط .

وحـدّثنى محـمَّد بن سـعـد ، عن الواقدى فى إسـناده قال : كـان

---

(١) شعَّث الشىء : فرقه .

المسلمون نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ وبنوا بها مساكن وهى من مَلَطِيَّة على ثلاث مراحل واغلة فى بلاد الروم ، ومَلَطِيَّة يومئذ خراب ليس بها الاّ ناس من أهل الذمّة من الأرمن وغيرهم ، فكانت تأتيهم طالعة من جند الجزيرة فى الصيف ، فيقيمون بها إلى أن ينزل الشتاء ، وتسقط الثلوج ، فإذا كان ذلك قفلوا ، فلمّا ولى عمر بن عبد العزيز «رضه» رحّل أهل طرندة عنها وهم كارهون ، وذلك لاشفاقه عليهم من العدوّ ، واحتملوا فلم يدعوا لهم شيئاً حتّى كسروا خوابى الخلّ والزيت ، ثمّ أنزلهم مَلَطِيَّة ، واخرب طرندة ، وولّى على مَلَطِيَّة جَعْوَنَة بن الحارث أحد بنى عامر بن صَعْصَعَة . قالوا : وخرج عشرون الفاً من الروم فى سنة ١٢٣ ، فنزلوا على مَلَطِيَّة فاغلق أهلها أبوابها وظهر النساء على السور عليهنّ العمائم فقاتلن ، وخرج رسول لاهل مَلَطِيَّة مستغيثاً ، فركب البريد وسار حتّى لحق بهشام بن عبد الملك وهو بالرُّصافة ، فندب هشام الناس إلى مَلَطِيَّة ، ثمّ أتاه الخبر بأنّ الروم قد رحلت عنها ، فدعا ، فدعا الرسول فأخبره ، وبعث معه خيلاً ليرابط بها ، وغزا هشام نفسه ثمّ نزل مَلَطِيَّة وعسكر عليها حتّى بُنيت ، فكان ممرُّه بالرَّقَّة دخلها متقلّداً سيفاً ، ولم يتقلّده قبل ذلك فى أيّامه .

قال الواقدى : لمّا كانت سنة ١٣٣ اقبل قُسْطَنْطِين الطاغية عامداً لمَلَطِيَّة ، وكَمْخ يومئذ فى أيدى المسلمين وعليها رجل من بنى سُلَيم ، فبعث أهل كَمْخ الصريخ إلى أهل مَلَطِيَّة ، فخرج إلى الروم منهم ثمانى

مائة فارس ، فواقعهم خيل الروم فهزمتهم ، ومال الرومى فأناخ على مَلَطيَّة فحصر من فيها والجزيرة يومئذ مفتونة ، وعاملها موسى بن كعب بحَرَّان فوجّهوا رسولا لهم إليه ، فلم يمكنه إغاثتهم ، وبلغ ذلك قُسْطَنْطِين ، فقال لهم : يا أهل مَلَطِيَّة ، انّى لم آتكم إلاَّ على علم بأمركم ، وتشاغل سلطانكم عنكم ، انزلوا على الأمان واخلوا المدينة اخربها ، وامضى عنكم ، فأبوا عليه ، فوضع عليها المجانيق ، فلمَّا جهدهم البلاء ، واشتدَّ عليهم الحصار ، سألوه أن يوثق لهم ففعل ، ثمَّ استعدُّوا للرحلة ، وحملوا ما استدقّ لهم والقوا كثيراً ممَّا ثقل عليهم فى الآبار والمخابى ، ثمَّ خرجوا ، وأقام لهم الروم صفَّين من باب المدينة إلى منقطَع اخرهم مخترطى السيوف طرف سيف كلّ واحد منهم مع طرف سيف الذى يقابله حتَّى كأنَّها عقد قنطرة ، ثمَّ شيَّعوهم حتَّى بلغوا مأمنَهم وتوجَّهوا نحو الجزيرة فتفرَّقوا فيها ، وهدم الروم مَلَطيَّة ، فلم يبقوا منها الاَّ هُرْياً فإنَّهم شعثوا منه شيئاً يسيراً ، وهدموا حصن قَلُوذِيَة . فلمَّا كانت سنة ١٣٩ ، كتب المنصور إلى صالح بن على يأمره ببناء مَلَطِيَّة وتحصينها ، ثمَّ رأى أن يوّجه عبد الوهَّاب بن إبراهيم الامام والياً على الجزيرة وثغورها فتوجّه فى سنة ١٤٠ ومعه الحسن بن قَحْطَبَة فى جنود أهل خراسان ، فقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة ، فتوافى معه سبعون ألفاً ، فعسكر على مَلَطِيَّة ، وقد جمع الفَعلة من كلّ بلد ، فأخذ فى بنائها وكان الحسن بن قَحْطَبَة ، ربَّما حمل الحجر حتَّى يناوله البنَّاء ، وجعل يغدّى الناس ويعشيهم من ماله مُبْرِزاً مطابخَهُ ، فغاظ ذلك

عبد الوهـاب فكتب إلى أبى جعفر يعلمـه أنَّه يطعم الناس ، وأنَّ الحسن يطعم أضعاف ذلك إلتماساً لأن يَطُوله ويُفسد ما يصنع ويُهجِنه بالاسراف والرياء ، وأنَّ له مناديـن ينادون الناس إلى طعـامـه ، فكتب اليـه أبو جعفر ، ياصبىّ يُطعم الحسن من ماله ، وتُطعم من مالى ما أُتيتَ الاَّ من صِغر خطرك وقِلَّة همَّتك ، وسـفه رأيك ، وكـتب إلى الحسين ان اطعم ولا تتَّخذ منادياً ، فكان الحسن يقول من سبق إلى شـرفة فله كذا ، فجدَّ النَاسُ فى العمل حـتَّى فرغوا من بناء مَلَطِيَّة ومسـجدها فى ستة أشـهر ، وبُنى للجند الَّذين أسكنوها لكلّ عرافة بيتان سـفليَّان ، وعُلِّيَّتان فوقهما ، واصطبل (والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلاً) ، وبنى لها مسـلحة على ثلاثين ميلاً منها ، ومسلحة على نهر يدعى قُباقب ، يدفع فى الفُرات واسكن المنصـور مَلَطِيَّة أربعة آلف مـقـاتل من أهل الجزيرة ، لأنَّهـا من ثغــورهم على زيادة عـشرة دنانير فـــى عطاء كلّ رجـل ، ومعـونة مائة دينــار سوى الجعل الَّذى يتجـاعله القبائل بينها ، ووضع فيهـا شحنتها مـــن السلاح ، وأقطع الجند المزارع وبنى حصن قَلُوذِيَة ، وأقبل قُسْطَنْطِين الطَّاغية فـــى أكثـر من مائة ألف فنزل جَيْحان فبلغه كثـرة العرب فأحجم عنها .

وسمعتُ من يـذكر أنَّه كان مع عبد الوهَّاب فى هذه الـغزاة نصر بن مالك الخُزاعى ، ونصر بن سَعْد الكاتب مولى الأنصار فقال الشاعر :

تكَنَّفَكَ النَّصرَانِ نَصرُ بْنُ مَالِكٍ   وَنَصرُ بْنُ سَعْدٍ عَزَّ نَصرُكَ مِنْ نَصرِ

وفى سنة ١٤١ أُغزَى محمَّد بن إبراهيم مَلَطِيَّة فى جند من أهل خراسان ، وعلى شرطته المُسَيّب بن زُهَير ، فرابط بها لئلاً يطمع فيها العدوّ فتراجع إليها من كان باقياً من أهلها ، وكانت الروم عرضت لَمَلطِيَّة فى خلافة الرشيد فلم تقدر عليها وغزاهم الرشيد «رحه» ، فأشجاهم وقمعهم . وقالوا : وجَّه أبو عبيدة ابن الجرَّاح ، وهو بمَنْبِج خالد بن الوليد إلى ناحية مَرْعَش ففتح حصنها على أن جلا أهله ثمّ اخربه وكان سفيان بن عَوْف الغامدى لمَّا غزا الروم فى سنة ٣٠ ، رحل من قبل مَرْعَش فساح فى بلاد الروم وكان معاوية بنى مدينة مرعش ، واسكنها جندا ، فلما كان موت يزيد بن معاوية كثرت غارات الروم عليهم فانتقلوا عنها ، وصالح عبد الملك الروم بعد موت ابيه مروان بن الحكم وطلبه للخلافة على شىء كان يؤدّيه اليهم ، فلمَّا كانت سنة ٧٤ غزا محمَّد بن مروان الروم وانتقض الصلح ، ولمَّا كانت سنة ٧٥ غزا الصائفة أيضاً محمد بن مروان وخرجت الروم فى جمادى الأولى من قبل مَرْعَش إلى الأعماق فزحف اليهم المسلمون وعليهم أبان بن الوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيط ومعه دينار بن دينار مولى عبد الملك بن مروان ، وكان على قِنَّسْرِين وكورها فالتقوا بعمق مَرْعَش فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهُزِمت الروم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكان دينار لقى فى هذا العام جماعة من الروم بجسر يَغْرا ، وهو من شِمْشاط على نحو من عشرة أميال ، فظفر بهم ، ثمّ أنَّ العبَّاس بن الوليد بن عبد الملك صار إلى

مَرْعَش فعمَّرها وحصَّنهـا ، ونقل الناس إليها وبنى لها مسجـداً جامعاً ، وكان يقطع في كلّ عام على أهل قِنَّسْرِين بعثاً إليها .

فلمَّا كـانت أيام مـروان بن مـحـمَّد وشـغل بمحـاربة أهل حِمْص خرجت الروم وحصرت مدينة مَرْعَش حـتَّى صالحهم أهلها على الجلاء ، فخـرجوا نحـو الجزيرة وجند قِنَّسْرِين بعـيالاتهم ، ثمَّ اخـربوها ، وكان عـامل مروان عليـها يومـئـذ الكَوْثَر بن زُفَر بن الحرث الكلابى ، وكـان الطاغية يومئذ قُسْطَنْطِين بن اليون ، ثمَّ لمَّا فرغ مروان من امر حِمْص وهدم سورها بعث جيْشـاً لبناء مَرْعَش فبنيت ومُدّنت فخرجت الـروم فى فتنته فاخربتها ، فبناها صِالح بن علىّ فى خـلافة أبى جعفر المنصور وحصَّنها وندب الناس اليها على زيـادة العطا ، واستخلف المهدى فزاد فى شـحنتها وقوّى أهلها .

حدَّثنى محـمَّد بن سعد عن الواقدى ، قال خرج مـيخائيل من درب الحَدَث فى ثمانين ألفاً فأتى عمق مَرْعَش فـقتل وأحرق وسبى من المسلمين خلقاً ، وصار إلى باب مدينة مَرْعَش وبها عيسى بن علىّ ، وكان قد غزا فى تلك السنة فـخرج إليـه موالى عـيسى ، واهل المدينة ومـقاتلتـهم ، فرشقوه بالنبل والسهام فاستطرد لهم حتَّى إذا نحاهم عن المدينة كرَّ عليهم فقـتل من موالى عيسى ثمـانية نفر ، واعتـصم الباقون بالمدينة فـأغلقوها فحاصرهم بها ، ثمَّ انصرف حتَّى نزل جَيْحان وبلغ الخبر ثُمامَة بن الوَليد العَبْسى وهو بدابِق ، وكـان قد ولى الصـائفة سنة ١٦١ فوجَّه إليه خـيلاً

كثيفة فأصيبوا الاّ من نجا منهم فأحفظ ذلك المهدى وأحتفل لاغزاء الحسن بن قَحْطَبَة فى العام المقبل وهو سنة ١٦٢ .

قالوا : وكان حصن الحَدَث ممَّا فتح أيَّام عمر فتحه حَبيب بن مَسْلَمَة من قبل عِياض بن غَنْم ، وكان معاوية يتعهَّده بعد ذلك وكان بنو أميَّة يسمُّون درب الحَدَث السلامة للطيرة ، لأنَّ المسلمين كانوا أُصيبوا به ، فكان ذلك الحدث فيما يقول بعض الناس ، وقال قوم لقى المسلمين غلام حدث على الدرب فقاتلهم فى أصحابه فقيل درب الحدث ، ولمَّا كان زمن فتنة مروان بن محمَّد ، خرجت الروم فهدمت مدينة الحَدَث وأجلت عنها أهلها ، كما فعلت بمَلَطية ، ثمَّ لمَّا كانت سنة ١٦١ خرج ميخائيل إلى عمق مَرْعَش ووجَّه المهدى الحسن بن قَحْطَبَة ساح فى بلاد الروم فثقلت وطأته على اهلها ،حتَّى صورّوه فى كنائسهم ، وكان دخوله من درب الحدث ، فنظر إلى موضع مدينتها فأخبر أنَّ ميخائيل خرج منه فارتاد الحسن موضع مدينته هناك ، فلمَّا انصرف كلَّم المهدى فى بنائها وبناء طَرْسوس فأمر بتقديم بناء الحدث وكان فى غزاة الحسن هذه مَنْدَل العَنَزى المحدّث الكوفى ومُعْتَمِر بن سليمان البصرى فأنشأها علىّ بن سليمان بن علىّ ، وهو على الجزيرة وقِنَّسْرِين وسمّيت المحمَّديَّة وتوفّى المهدى مع فراغهم من بنائها فهى المهديَّة والمحمَّديَّة ، وكان بناؤها باللبن وكانت وفاته سنة ١٦٩ ، واستخلف موسى الهادى ابنه ، فعزل علىَّ بن سليمان وولّى الجزيرة وقِنَّسْرِين محمَّد بن إبراهيم بن محمَّد بن علىّ وقد كان

على بن سليمان فرغ من بناء مدينة الحـدث ، وفرض لها فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسـان فى أربعين ديناراً من العطاء ، واقطعهم المساكن وأعطى كلّ امرىء ثلثمائة درهم ، وكان الفراغ منها فى سنة ١٦٩ ، وقال أبو الخطّاب فرض علىّ بن سليمان بمديـنة الحدث ، لاربعة ألف فأسكنهم إيّاها ، ونقل إليـهـا من مَلَطِيَّة ، وشِمْشـاط وسُمَيْسـاط وكَيْسُوم ودُلُوك ورَعْبان ، ألفى رجل .

قال الواقـدى ولمّا بنيت مدينة الحدث هـجم الشتاء والثلوج وكـثرت الأمطار ولم يكن بناؤها بمـستـوثق منه ولا محـتاط فـيـه فتـثلّمت المدينة وتشعّثت ونزل بها الروم فتفرّق عنهـا من كان فيها من جندها وغيرهم ، وبلغ الخبـر موسى فقطع بعـثاً مع المُسَيِّب بن زُهَير ، وبعـثاً مع رَوْح بن حاتم ، وبعـثاً مع حـمزة بن مالك ، فـمات قبل أن يـنفذوا . ثم ولى الرشيد الخلافة فأمـر ببنائها وتحصينها وشحنتهما واقطاع مـقاتلتها المساكن والقطائع .

وقال غـير الواقـدى اناخ بطريق من عظمـاء بطارقة الروم فى جـمع كثيف على مدينة الحدث حين بنيت . وكـان بناؤها بلبن قد حُمل بعضها على بعض واضـرّب به الثلوج وهرب عاملهـا ومن فيـها ودخلهـا العدوّ فحـرّق مسـجـدها وأخربهـا وأحتمل أمـتعة اهلهـا ، فبناها الرشـيد حين استخلف .

وحـدّثنى بعض أهل مَنْبِج قال ، أنّ الرشـيد كـتب إلى محـمّد بن

إبراهيم بإقـراره على عمله فـجرى أمـر مدينة الحـدث وعمارتـها من قِبَل الرشيـد على يده ثمّ عزله ، قـالوا : وكان مالك بن عـبد الله الخَثْعَمى الذى يقال له مـالك الصوائف وهو من أهل فِلَسْطين غـزا بلاد الروم سنة ٤٦ وغنم غنائم كثـيرة ثمّ قفل ، فلمّا كـان من درب الحدث على خمـسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرَّهْوة ، اقام فيها ثلاثاً فباع الغَنَائم وقسم سهام الغنيـمة ، فسـمّيت تلك الرهوة رَهْوَة مـالك . قالوا : وكـان مرج عـبد الواحـد حـمى لخـيل المسلـمين فلمّا بنى الحـدث وزِبَطْرَة اسـتغنى عنه فازدرع[1] ، قالوا : وكـانت زِبَطْرَة حصناً قـديماً روميـاً ففتـح مع حصن الحدث القديم ، فتحه حَبِيب بن مَسْلَمة الفِهْرى وكان قائماً إلى أن اخربته الروم فى أيام الوليد بن يزيد فبنى بناء غـير مُحْكم ، فأناخت الروم عليه فى أيّام فـتنة مروان بن مـحمّد فهـدمتـه فبناه المنصـور ثمّ خرجت إلـيه فشعّثته ، فبناه الرشـيد على يدىّ محمّد بن إبراهيم وشحنه ، فلمّا كانت خلافة المأمون طرقه الروم فشعّثـوه ، واغاروا على سرح اهله فاستاقوا لهم مواشى فأمر المأمون بمرمّته وتحصينه . وقدم وفد طاغية الروم فى سنة ٢١٠ يسأل للصلح فلم يجبـه إليه ، وكتب إلى عمّال الثغور فـساحوا فى بلاد الروم فأكثروا فيها القتل ودوّخوها ، وظفروا ظفراً حسناً الاّ أنّ يَقْظان بن عبـد الأعلى بن أحمـد بن يزيد بن أَسِيد السُّلَمى أُصـيب ، ثمّ خرجت الروم إلى زِبَطْرَة فى خلافـة المتعصم بالله أبى إسـحق بن الرشيد فـقتلوا

---

(١) ازدرع : طرح الزرعة أى البذر فى الأرض .

الرجال وسبوا النســاء وأخربوها فاحفظه ذلك وأغضبـه فغزاهم حتّى بلغ عَمّوريّة ، وقد أخرب قـبلها حصونـاً فأناخ عليها ، حتّى فتحها فـقتل المقاتلة وسبى النساء والذرّيّة ثمّ أخربها وأمر ببناء زِبَطْرَة وحصّنها وشحنها فرامها الروم بعد ذلك فلم يقدروا عليها .

وحدّثنى أبو عمـرو الباهلى وغيره قالـوا : نُسب حصن منصور إلى منصـور بن جَعْوَنَة بن الحـارث العامـرى من قـيس وذلك أنّه تولّى بناءه ومرمّته ، وكان مـقيماً به ايّام مروان ، ليردّ العدوّ ومـعه جند كثيف من أهل الشام والجزيرة ، وكان منصور هذا على أهل الرُّها حين امتنعوا فى أوّل الدولة فـحصـرهم المنصـور ، وهو عامل أبـى العبّاس على الجـزيرة وأرمينية فلمّا فتحها هرب منصور ، ثمّ أومِن فظهر فلمّا خلع عبد الله بن علىّ ابا جعـفر المنصـور ولاّه شرطته ، فلمّا هرب عـبد الله إلى البـصرة استخفى فدلّ عليه فى سنة ١٤١ فـأتى المنصور به فقتله بالرَّقّة منصرفَه من بيت المقـدّس ، وقـوم يقـولون أنّه أومِن بعـد هرب ابن علىّ فظهـر ثم وجدت لـه كتب إلى الروم بغشّ الاسـلام ، فلمّا قدم المنصـور الرَّقّة من بيت المقدس سنة ١٤١ وجّه من آتاه به فضـرب عنقه بالرَّقّة ، ثم انصرف إلى الهاشميّة بالكوفة .

وكان الرشيد بنى حصن منصور وشحنه فى خلافه المهدى .

نقل ديوان الرومية

قالوا ولم يزل ديوان الشام بالروميَّة حتَّى ولى عبد الملك بن مروان فلمَّا كانت سنة ٨١ أمر بنقله ، وذلك أنَّ رجلاً من كُتَّاب الروم احتاج ان يكتب شيئاً فلم يجد ماءً فبال فى الدواة ، فبلغ ذلك عبد الملك فأدَّبه وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان ، فسأله أن يعينه بخراج الأُرْدُنّ سنة ففعل ذلك وولاَّه الأُرْدُنّ فلم تنقض السنة حتَّى فرغ من نقله وأتى به عبد الملك فدعا بسَرْجون كاتبه فعرَّض ذلك عليه فغمَّه ، وخرج من عنده كئيباً ، فلقيه قوم من كتَّاب الروم ، فقال اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم ، قال ، وكانت وظيفة الأُرْدُنّ الَّتى قطعها معونة مائة ألف وثمانين ألف دينار ، ووظيفة فِلَسْطين ثلاثمائة الف ، وخمسين الف دينار ، ووظيفة دمشق أربعمائة ألف دينار ، ووظيفة حِمْص مع قِنَّسْرين والكور التى تدعى اليوم العَوَاصِم ، ثمانى مائة ألف دينار ، ويقال سبع مائة ألف دينار .

فتوح أرمينية

حدَّثنى محمَّد بن اسماعيل من ساكنى بَرْذَعَة وغيره عن أبى بَرَاء عَنْبَسَة ابن بَحْر الارمنى .

وحدَّثنى محمَّد بن بِشْر القالى عن أشياخه وبَرْمَك بن عبد الله الدَّيلى ، ومحمَّد بن المُخَيِّس الخِلاطى وغيرهم عن قوم من أهل العلم

بأمور أرمينية سقتُ حديثهم ، ورددتُ من بعضه على بعض قالوا :
كانت شِمْشاط وقاليقَّلا وخِلاط وأَرْجيش وبَاجُنَّيس تدعى أرمينية الرابعة،
وكانت كورة البُسْفُرَّجَان ودَبيل ،وسِرَاج طَيْر ، وبَغْرَوَنْد ، تدعى أرمينية
الثالثة ، وكانت جُرْزان ، تدعى أرمينية الثانية ، وكانت السِيسَجان وأَرَّان
تدعى أرمينية الأولى ، ويقال كانت شِمْشاط وحدها أرمينية الرابعة ،
وكانت قاليقَلا وخِلاط وأَرْجِيْش وبَاجُنَيس تدعى ارمينية الثالثة ،
وسراج طير وبغروند ودبيل والبُسْفَرجان تدعى أرمينية ، وسِيْسَجان وأَرَّان
وتَفْلِيس تدعى أرمينية الأولى ، وكانت جُرْزان وأَرَّان فى أيدى الخَزَر ،
وسائر أرمينية فى أيدى الروم يتولاَّها صاحب أَرْمَنِيَاقُس، وكانت الخَزَر ،
تخرج فتغير وربّما بلغت الدَيْنَوَر فوجّه قُباذ بن فِيرُوز الملك قائداً من
عظماء قوَّاده فى اثنى عشر الفاً ، فوطىءَ بلاد أَرَّان وفتح ما بين النهر
الّذى يعرف بالرَّسّ إلى شَرْوان ، ثمَّ أن قُباذ لحق به فبنى بأَرَّان مدينة
البَيْلَقَان ، ومدينة بَرْذَعَة وهى مدينة الثغر كلّه ، ومدينة قَبَلَة، وهى الخَزَر،
ثمَّ بنى سدَّ اللبن فيما بين أرض شَرْوان ، وباب اللاَّن ، وبنى على سُدّ
اللبن ثلاثمائة وستِّين مدينة ، خربت بعد بناء الباب والأبواب ، ثم أنَّه
ملك بعد قُباذ ابنه أَنُوشِرْوان كِسْرَى ابن قُباذ فبنى مدينة الشَابِرَان ومدينةَ
مَسْقَطْ، ثمَّ بنى مدينة الباب والأبواب وإنَّما سمِّيت أبواباً لانَّها بنيت على
طريق فى الجبل ، وأسكن ما بنى من هذه المواضع قوماً سمَّاهم
السِياسِجِين ، وبنى بأرض أَرَّان ابواب شكَّن والقَمِيرَان وأبواب الدُّودَانيَّة

، وهم أمــه يزعـمـــون أنَّهم من بنى دُودَان بـن أسَد بن خُزَيْمَة وبنى الدُّرْذُوقيَّة ، وهى اثنا عـشر باباً كلّ باب منهـا قصر من حـجارة ، وبنى بأرض جُرْزان مدينة يقال لها سُغْدَبيل وانزلها قوماً من السُّغْد وابناء فارس وجعلهـا مَسلحة ، وبنى ممَّايلى الروم فى بلاد جُرْزان قصـراً يقال له باب فِيرُوزقُبَاذ وقصراً يقال له باب لاذقَة ، وقصراً يقال له بـاب بـارقة ، وهو على بحـــر طَرَابَزُنْدَة ، وبنى باب اللاَّن وباب سَمْسَخى ، وبـنـى قلعـة الجَرْدَمان وقلعـة شَمْشلْدَى ، وفتح أَنُوشِرْوَن جـميع مـا كان فى أيدى الروم من أرمينيـة وعمر مـدينة دِبيل وحصَّنها وبـنى مدينة النَّشْوَى وهى مدينة كـورة البُسْفُرَّجان وبنى حصن وَيْص ، وقلاعـاً بارض السِّيسَجَان ، منهـا قلعة الكِلاب ، وسـاهيونس، وأسكن هذه الحـصون والـقلاع ذوى البأس والنـجدة من سِيَاسِيجِيَّة ، ثمَّ أنَّ أَنُوشِرْوان كـتب إلى ملك التُّرْك يسأله الموادعـة والصلح ، وأن يكون أمرهمـا واحداً ، وخطب إليـه ابنته ليؤنسه بذلك ، واظهـر له الرغبة فى صهره ، وبعث إليـه بأمة كانت له تبنَّتها امرأة من نسائه، وذكر أنَّها ابنته اليه ثمَّ قدم عليه فالتقيا بالبَرْشَلِيَة ، وتنادما أيَّاماً ، وأنس كلٌّ واحد منهما بصاحبه وأظهر برَّه وامر أَنُوشِرْوان جماعة من خاصتَّه وثقاته ، ان يُبَيّتوا طرقاً من عسكر التُّرْكى ويحرقوا فيه ففعلوا ، فلمَّا اصبح شكا ذلك إلى أَنُوشِرْوان ، فأنكر أن يكون أمر به ، أو علم أن أحداً من أصحابه فـعله ، ولمَّا مضت لذلك ليال ، أمر اولئك القوم ، بمعـاودة مثل الذى كان منهم فـفعلوا ، فضجَّ الـتُّرْكى من فعلهم حتَّى رفق بـه أَنُوشِرْوان ، واعتذر اليـه فسكن ، ثـمَّ إنَّ أَنُوشِرْوان ، أمر

فألقِيَت النار فى ناحية من عسكره لم يكن بها الاَّ اكواخ قد اتُّخذت من حشيش وعيدان ، فلما أصبح ضجَّ أَنُوشِرْوان إلى التُّرْكى وقال كاد أصحابك يذهبون بعسكرى ، وقد كافأتنى بالظنَّة فحلف أنَّه لم يعلم لشىء مما كان سبباً ، فقال أَنُوشِرْوان : يا أخى جندنا وجندك قد كرهوا صحلنا لانقطاع ما انقطع عنهم من النيل فى الغارات والحروب الَّتى كانت تكون بيننا ولا آمن أن يحدثوا أحداثاً يفسد قلوبنا بعد تصافينا وتخالصنا ، حتَّى نعود إلى العداوة بعد الصهر والمودَّة ، والرأى أن تأذن لى فى بناء حائط يكون بينى وبينك ، ونجعل عليه باباً فلا يدخل إليك من عندنا وإلينا من عندك الاَّ من أردتَ وأردنا ، فأجابه إلى ذلك فانصرف إلى بلاده وأقام أَنُوشِرْوان لبناء الحائط ، فبناه وجعله من قبل البحر بالصخر والرصاص وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع وألحقه برؤوس الجبال، وأمر أن تحمل الحجارة فى السفن ، وتغريقها فى البحر حتَّى إذا ظهرت على وجه الماء بنى عليها فقاد الحائط فى البحر ثلاثة أميال ، فلمَّا فرغ من بنائة علَّق على المدخل منه أبواب حديد ، ووكَّل به مائة فارس يحرسونه بعد أن كان موضعه يحتاج إلى خمسين ألفاً من الجند ، وجعل عليه دبَّابة فقيل لخاقان بعد ذلك، انَّه خدعك وزوَّجك غير ابنته، وتحصَّن منك فلم يقدر على حيلة .

وملَّك أَنُوشِرْوان ملوكاً رتَّبهم ، وجعلَ لكلّ امرىءٍ منهم شاهيَّة ناحية فمنهم خاقان الجبل وهو صاحب السَّرِير ، ويدعى وهرارزانشاه

ومنهم ملك فِيلان ، وهو فيلاَن شاه ، ومنهم طَبَرْسَرانشاه ، وملك اللّكز ويدعى جرشانشاه ، وملك مَسْقَط وقد بطلت مملكته ، وملك ليران ويدعى لِيرانْشاه ، وملك شَرْوان ويدعى شَرْوَانْشاه ، وملّك صاحب بُخّ على بُخّ ، وصاحب زِرِيكِران عليها ، وأقرّ ملوك جبل القَبَق على ممالكهم وصالحهم على الاتاوة ، فلم تزل أرمينية فى أيدى الفُرْس حتّى ظهر الإسلام ، فرفض كثير من السِيَاسِيجِين حصونهم ومدائنهم حتّى خربت ، وغلب الخَزَر والروم على ما كان فى أيديهم بديا[1] .

قالوا : وقد كانت أمور الروم تستتب فى بعض الأزمنة وصاروا كملوك الطوائف فملك أَرْمَنِيَاقُس رجل منهم ، ثمّ مات فملكتها بعده امرأته ، وكانت تسمّى قالى فبنت مدينة قالِيقَلا ، وسمّتها قالِيقَاله ومعنى ذلك احسان قالِى ، قال : وصُوّرت على باب من ابوابها فاعربت العرب قالِيقَاله فقالوا قالِيقَلاَ .

قالوا . ولمّا استخلف عثمان بن عفّان ، كتب إلى معاوية وهو عامله على الشام والجزيرة وثغورهما ، يأمره أن يوجّه حَبِيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى إلى أرمينية وكان حَبِيب ذا أثر جميل فى فتوح الشام وغزو الروم قد علم ذلك منه عمر ثمّ عثمان «رضهمـا » ثمّ مَنْ بعده ، ويقال بل كتب عثمان إلى حَبِيب يأمره بغزو أرمينية وذلك أثبت ، فنهض إليها فى ستّة الف ، ويقال فى ثمانية ألف من أهل الشام والجزيرة ، فأتى قالِيقَلا فأناخ عليها ،

---

(١) بديا : واصلها بدأ ، أى فى بادىء الأمر .

وخرج إليـه أهلها فـقاتلهم ثمَّ ألجـاهـم إلى المدينة ، فطلبـوا الأمان على الجلاء والجـزية فجلا كثـير منهم فلحقـوا ببلاد الروم . واقام حَبـيب بها فيـمن معه أشهـراً ، ثمَّ بلغه أنَّ بطريق أرْمَنِيَاقُس ، قد جـمع للمسلمين جـمعـاً عظيمـاً وانضمَّت اليـه أمداد أهل اللاَّن ، وأفـخاز وسَمَنْدَر من الخَزَر ، فكتب إلى عثمان يسأله أن يُشـخص إليه من أهل الشام والجزيرة قومـاً ممَّن يرغب فى الجهـاد والغنيمـة ، فبـعث إليه معـاوية ألفى رجل اسكنهم قاليِقَلا واقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة بها . ولمَّا ورد على عثمان كتاب حَبيب ، كتب إلى سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أميَّة ، وهو عـامله على الكوفة يأمـره بامداده بجيش عليـه سَلْمان بن ربيعـة الباهلى ، وهو سَلْمـان الخيل ، وكان خيِّراً فـاضلاً غزَّاءً ، فـسار سلْمان الخـيل إليه فى سـتَّة الف رجل من أهل الكوفة وقـد اقبلت الروم ومن معها فنزلوا على الفُرات ، وقد ابطأ على حبيب المدد فبيَّتهم المسلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم ، وقالت أمُّ عبد الله بنت يزيد الكلبيَّة ، امرأة حَبيب ليلتئذ له أين موعدك قـال: سرادق الطاغية أو الجنَّة فلمَّا انتهى إلى السرادق وجدها عنده .

قالوا : ثمَّ إنَّ سلْمان ورد وقد فرغ المسلمون من عدوِّهم، فطلب أهل الكوفة إليـهم أن يشركوهم فى الغنيـمة، فلم يفعلوا حتَّى تغـالظ حَبيب وسلْمان فى القول وتوعَّد بعض المسلمين سلْمان بالقتل ، قال الشـاعر :

إِنْ تَقْتُلُوا سَلْمَانَ نَقْتُلْ حَبِيبَكُمْ   وَإِنْ تَرْحَلُوا نَحْوَ ابْنِ عَفَّانَ نَرْحَلُ

وكتب إلى عثمان بذلك ، فكتب أنّ الغنيمة باردة لأهل الشام وكتب إلى سلْمان يـأمره بغزو أرّان ، وقـد روى بعضـهم أنّ سلْمان بن ربيـعة توجّه إلى أرمينية فى خـلافة عثمان فسـبى وغنم وانصرف إلى الوليد بن عُقْبَة وهو بحَديثة المَوْصِل سنة ٣٥ ، فأتاه كـتاب عثمان يعلمـه أنّ معاوية كتب يذكر أنّ الروم قـد اجلبوا على المسلمين بجموع عظيـمة يسأل المدد ، ويأمره أن يبعث إلـيه ثمانية آلف رجل فوجّه بهم ، وعلـيهم سلْمان بن ربيعة الباهلى ، ووجّه معاوية حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى معه فى مثل تلك العدّة فـافتتـحا حصـوناً وأصابَا سبـياً وتنازعا الامـارة ، وهَمّ أهل الشام بسَلْمان فقال الشاعر :

ان تقتلوا . . . (وهو البيت السابق)

والخبر الأوّل اثبت ، حـدّثنى به عدّة من مشايخ أهل قـالِيقَلا وكتب إلىّ به العطّاف بن سفيان أبو الأصبغ قاضيها .

وحدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن عـبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، قـال : حاصر حَبـيب بن مَسْلَمَة اهل دَبِيل فأقـام عليها فلقـيه المَوْرِيَان الرومى ، فبيّتـه وقتله وغنم ما كان فى عـسكره ، ثمّ قدم سَلْمان عليه ، والثبت عندهم أنّه لقيه بقالِيقَلا .

وحدّثنى محمّد بن بشر وابن وَرْز القـالِيان عن مشايخ اهل قالِيقَلا ، قالوا ، لم تزل مدينـة قاليقَلا مذ فتـحت ممتنعة بمن فيهـا من أهلها حتّى خرج الطاغية فى سنة ١٣٣ ، فحـصر أهل مَلَطِيّة وهدم حائطها ، وأجلى

من بها من المسلمين إلى الجزيرة ، ثم نزل مرج الحصى ، فوجّه كوسان الأرمنى ، حتى أناخ على قالِيقَلا فحصرها ، وأهلها يومئذ قليل وعاملها أبو كَرِيمة ، فنقب أخوان من الأرمن من أهل مدينة قالِيقَلا ردماً كان فى سورها وخرجا إلى كوسان ، فأدخلاه المدينة ، فغلب عليها فقتل وسبى وهدمها ، وساق ما حوى إلى الطاغية ، وفرَّق السبى على أصحابه .

وقال الواقدى لمَّا كانت سنة ١٣٩ ، فأدى[١] المنصور بمن كان حيًّا من أسارى أهل قالِيقَلا ، وبنى قالِيقَلا وعمرها وردَّ من فادى به إليها ، وندب إليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم ، وقد كان طاغية الروم خرج إلى قالِيقلا فى خلافة المعتصم بالله فرمى سورها حتَّى كاد يسقط فانفق المعتصم عليها خمس مائة ألف درهم حتَّى حصِّنت .

قالوا : ولمَّا فتح حَبيب مدينة قالِيقَلا سار حتى نزل مربالا فأتاه بطريق خِلاط بكتاب عِياض بن غَنْم وكان عياض قد أمنه على نفسه وماله وبلاده ، وقاطعه على إتاوة فأنفذه حَبيب له ، ثم نزل منزلاً بين الهَرَك ، ودشت الورك فأتاه بطريقِ خلاط بما عليه من المال ، وأهدى له هدية لم يقبلها منه ، ونزل خِلاط ، ثمَّ سار منها إلى الصسانه فلقيه بها صاحب مُكْس ، وهى ناحية من نواحى البُسْفُرَّجَان فقاطعه على بلاده ووجَّه معه رجلاً وكتب له كتاب صلح وأمان ، ووجَّه إلى قرى أَرْجنيش وبَاجُنَّيس من غلب عليها وجبى جزى رؤوس أهلها ، وأتاه

---

(١) ادى : أوصل .

وجوهم فقاطعهم على خراجها، فأمّا بحيرة الطِّرِّيخ فلم يعرض لها، ولم تزل مباحة حتّى ولى محمد بن مروان بن الحكم الجزيرة وأرمينية فحوى صيدها وباعه فكان يستغلّها ، ثمّ صارت لمروان بن محمّد فقبضت عنه .

قال ثمّ سار حَبيب وأتى أَرِدْسَاط ، وهى قرية القِرمِز ، وأجاز نهر الأكراد ونزل مرج دَبِيل. فسرَّب الخيول إليها ، ثمّ زحف حتّى نزل على بابها فتحصّن أهلها ورموه ، فوضع عليها منجنيقاً ورماهم حتّى طلبوا الأمان والصلح ، فأعطاهم أيّاه وجالت خيوله فنزلت جُرْنى[1] وبلغت أشوش وذات اللُّجُم والجبل كوته ؟ ووادى الأحرار وغلبت على جميع قرى دَبيل ووجّه إلى سِراج طَير وبَغْرَوَنْد فأتاه بَطريقها ، فصالحه عنها على أتاوة يؤدّيها وعلى مناصحة المسلمين ، وقراهم ومعاونتهم على اعدائهم ، وكان كتاب صلح دَبيل :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من حبيب بن مَسْلَمَة ، لنصارى أهل دَبيل ومجوسها ويهودها ، شاهدها وغائبهم انّى أمّنتكم على أنفسكم ، وأموالكم ، وكنائسكم ، وبيعكم ، وسور مدينتكم ، فأنتم آمنون ، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ، ما وفيتهم وأدّيتم الجزية والخراج شهد الله ، وكفى به شهيداً . وختم[2] حبيب بن مَسْلَمَة .

ثم أتى حبيب النَّشْوَى ففتحها على مثل صلح دَبيل وقدم عليه بطريق

---

(١) وهى بلدة قرب دبيل .

(٢) أى وضع خاتمه .

البُسْفَرَّجَان فصالحه عن جميع بلاده وأرضى هـصابلية ، وأفارستة ، على خرجَ يؤدّيه فى كل سنـة ، ثمّ أتى السِيسَجَان فحـاربهم أهلها، فهـزمهم وغلب على وِلِصْ، وصالح أهل القلاع بـالسِيسَجَان على خرج يؤدّونه ثمّ سار إلى جُرْزان .

حدثّنى مـشايخ من أهل دَبيل منهم بَرْمَك بن عبد الله قـالوا : سار حَبيـب بن مَسْلَمَة بمن معـه يريد جُرْزان ، فلمّا انتهـوا إلى ذات اللُّجُم ، سرّحـوا بعض دوابهم ، وجمعـوا لُجُمها فـخرج عليـهم قوم من العلوج فأعجـلوهـم عن الالجام فقاتلوهم ، فكشـفهم[1] العلوج ، واخـذوا تلك اللُّجُم ومـا قدروا عليـه من الدوابّ ، ثمّ أنّهم كـرُّوا عليـهم ، فقـتلوهم وارتجعوا مـا أخذوا منهم فسمّى الموضع ذات اللُّجُم ، قالوا : وأتى حَبيباً رسول بـطريق جُرْزان واهلها وهو يريدها ، فـادّى إليه رسـالتهم وسـأله كتاب صلح وأمان لهم فكتب حبيب إليهم :

أما بعد فانّ نُقْلى رسـولكم قدم علىّ ، وعلى الّذين معى من المؤمنين فذكـر عنـكم أنّا أمّة أكرمنا الله وفضّلنا وكـذلك فعل الله ، وله الحـمد كثـيراً ، وصلّى الله على محـمّد نبيّه ، وخيـرته من خلقه وعليـه السلام وذكـرتم انّكم احـببـتم سِلمنا وقد قـوّمت[2] هديتكم ، وحـسـبتُهـا من جـزيـتكم وكتبتُ لكـم امـاناً واشتـرطت فـيه شـرطاً ، فان قـبلتمـوه

(١) كشف : بمعنى ظهر عليه .

(٢) أى قدرت قيمتها .

ووفيـتـم بـه وإلاّ فـأذنوا بحرب من الله ورسـوله والسـلام على من اتّبع الهدى .

ثمّ ورد تَفْلِيس وكتب لاهلها صلحاً .

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من حـبيب بن مَسْلَمَة لاهل تَفْلِيس من مَنْجَلِيس ، من جُرْزان القِرْمِز بالأمـان على أنفـسـهم ، وبيـعـهم ، وصوامعـهم وصلواتهم ، ودينهم ، على إقرار بالصغـار والجزية على كلّ أهل بيت دينار ، وليس لكـم أن تجمعـوا بين أهل البـيوتات تخـفيـفاً للجـزية ، ولا لنا أن نفـرق بينهم استكـثاراً منهـا ، ولنا نصـيحـتكم وضلعكم على أعـداء الله ورسوله ﷺ ما اسـتطعتم وقِرى المسلم المحـتاج ليلة المعـروف من حلال طعـام أهل الكتـاب لنا ، وإن إنقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه[1] إلى أدنى فـئة من المؤمنين إلاّ أن يحـال دونهم ، وان أنبتم وأقمتم الصلاة فـاخواننا فى الدين والاّ فالجزية عليكم ، وان عرض للمسلمين شغل عنكم فقهـركم عدوُكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهـدكم ، هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملائكـته وكفى بالله شهيداً .

وكتب الجرّاح بن عبد الله الحَكَمى لأهل تفليس كتاباً نسخته :

بسم الله الرحـمن الرحيم، هذا كـتـاب من الجراح بن عـبـد الله لأهل تفليس من رستـاق مَنْجَلِيس ، من كورة جُرْزان ، أنّه اتونى بكتـاب أمان

(١) اداؤه : ايصاله .

لهم من حبيب بن مَسْلَمَة على الاقرار بصغار الجزية ، وانّه صالحهم على ارضين لهم وكروم وأرحاء يقال لها آوارى وسابينا من رستاق مَنْجَليس ، وعن طعام وديدونا من رستاق قُحُويط من كورة جُرْزان على أن يؤدّوا عن هذه الأرحاء ، والكروم فى كل سنة مائة درهم بلا ثانية ، فانفذت لهم امانهم وصلحهم ، وأمرت الايراد عليهم فمن قرىء عليه كتابى فلا يتعدّ ذلك فيهم ان شاء الله . وكتب .

قالوا وفتح حبيب، جوارح وكسفربيس وكِسَال ، وخُنان وسَمْسَخى ، والجَرْدَمان وكستسجى ، وشَوِشْت وبَارْكيت صلحا على حقن دماء أهلها وإقرار مصلّياتهم وحيطانهم وعلى أن يؤدّوا أتاوة عن أرضهم ورؤوسهم . وصالح أهل قَلَرْجيت ، وأهل ثَرْيَاليت ، وخَاخِيط ، وخوخيط وأرْطَهَال وباب اللاّل وصالح الصَّنَارِيَّة والدُّودَانِيَّة على اتاوة .

قالوا : وسار سلمان بن ربيعة الباهلى حين أمره عثمان بالمسير إلى أرّان ، ففتح مدينة البَيْلَقَان صلحاً ، على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم ، واشترط عليهم اداء الجزية والخراج ، ثمّ أتى سلمان بَرْذَعَة فعسكر على الثُّرْثُور وهو نهر منها على أقل من فرسخ ، فأغلق أهلها دونه أبوابهم ، فعاناها أيّاماً وشنّ الغارات فى قراها ، وكانت زروعها مستحصدة فصالحوه على مثل صلح البَيْلَقَان ، وفتحوا له أبوابها فدخلها وأقام بها ، ووجّه خيله ففتحت شفشين والمسفوان وأُوذ والمصريان والهرحليان ، وتبار وهى رساتيق وفتح غيرها من أرّان ودعا

اكراد البلاسجان ، إلى الاسلام ، فقاتلوه فظفر بهم ، فاقرَّ بضعهم بالجزية ، وأدَّى بعض الصدقة وهم قليل .

وحدَّثنى جماعة من أهل بَرْذَعَة ، قالوا كانت شَمْكور مدينة قديمة ، فوجّه سلْمانَ بن ربيعة الباهلى من فتحها ، فلم تزل مسكونة معمورة حتَّى أخربها السَّاوَرْدِيَّة وهم قوم تجمعوا فى أيَّام انصرف يزيد بن أَسَيد عن أرمينية ، فغلظ أمرهم وكثرت نوائبهم ، ثمَّ أنَّ بُغَا مولى المعتصم بالله (رحه) عمرها فى سنة ٢٤٠ وهو والى أرمينية ، وأَذَرْبَيْجَان وشِمْشَاط واسكنها قوما خرجوا إليه من الخَزَر مستأمنين لرغبتهم فى الاسلام ، ونقل إليها التجار من بَرْذَعَة وسمَّاها المتوكّلِيَّة .

قالوا : وسار سلْمان إلى مجمع الرَّسّ والكُرّ خلف بَرْديج فعبر الكُرّ ففتح قَبَلَة وصالحه صاحب شكّن والقَميِبَران على اتاو ، وصالحه أهل خَيْزان وملك شَرْوان ، وسائر ملوك الجبال ، وأهل مَسْقَط والشابران ومدينة الباب ، ثمَّ اغلقت بعده ، ولقيه خاقان فى خيوله خلف نهر البَلَنْجَر فقُتل « رحه » فى أربعة آلف من المسلمين فكان يسمع فى مأزقهم التكبير . وكان سلْمان بن ربيعة أوَّل من أستقضى بالكوفة أقام أربعين يوماً لا يأتيه خصم وقد رَوَى عن- عمر بن الخطَّاب ، وفي سلْمان وقُتَيْبَة بن مُسْلِم ، يقول ابن جمانة الباهلى :

وَإِنَّ لَنَا قَبْرَيْنِ قَبْـــــرُ بَلَنْجَـــرٍ
وَقَبْرُ بَصِينِ اسْتَانَ يَا لَكَ مِــنْ قَبْرِ

فَذَاكَ الَّذى بِالصِّينِ عَمَّتْ فُتُوحُهُ

وهــــــذا الَّذى يُسْقَى بِهِ سَبَلَ الْقَطْرِ

وكان مع سلمان ببَلَنْجَر قَرْظَة بن كعب الأنصارى وهو جاء بنعيه إلى عثمان .

قالوا : ولمَّا فتح حَبيب ما فتح من أرض أرمينية كتب به إلى عثمان ابن عفَّان ، فوافاه كتابه وقد نعى إليه سَلْمان فهمَّ أن يولِّيه جميع ارمينية ثمَّ رأى أن يجعله غازياً بثغور الشام والجزيرة لغنائه فيما كان ينهض له من ذلك ، فولَّى ثغر أرمينية حُذَيفة بن اليَمان العبسى ، فشخص إلى بَرْذَعَة ووجَّه عمَّاله على ما بينها وبين قاليقَلا ، وإلى خَيْزان فورد عليه كتاب عثمان يأمره بالانصراف وتخليف صلة بن زُفَر العبسى ، وكان معه فخلَّفه ، وسار حبيب راجعاً إلى الشام ، وكان يغزو الروم ونزل حِمْص فنقله معاوية إلى دِمَشْق فتوفِّى بها سنة ٤٢ وهو ابن ٣٥ سنة ، وكان معاوية وجَّه حبيباً فى جيش لنُصرة عثمان حين حوصر ، فلمَّا انتهى إلى وادى القُرَى بلغه مقتل عثمان فرجع .

قالوا : وولَّى عثمان المغيرة بن شُعْبَة أَذْرَبَيْجَان وأرمينية ، ثمَّ عزله وولَّى القاسم بن ربيعة بن أميَّة بن أبى الصَّلْت الثَّقَفى أرمينية ، ويقال ولاَّها عمرو بن معاوية بن المُنْتَفِق العُقَيْلى ، وبعضهم يقول وليها رجل من بنى كلاب بعد المُغِيرة ١٥ سنة ، ثمَّ وليها العُقَيْلى ، وولى

الأشعث بن قيس لعلى بن أبى طالب (رضه) ارمينية وأذربيجان ، ثمّ وليها عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلى من قبل معاوية فمات بها ، فوليها عبد العزيز بن حاتم بن النعمان اخوه ، فبنى مدينة دَبِيل وحصّنها وكبّر مسجدها ، وبنى مدينة النَّشَوَى ، ورمّ مدينة بَرْذَعَة ويقال أنّه جدّد بناءها ، واحكم حفر الفارقين حولها ، وجدّد بناء مدينة البَيْلَقَان وكانت هذه المدن متشعّثه مستهدمة ، ويقال انّ الذى جدّد بناء بَرْذَعَة محمّد بن مروان فى أيّام عبد الملك بن مروان . وقاله الوقداى : بنى عبد الملك ، مدينة بَرْذَعَة على يد حاتم بن النعمان الباهلى آوابنه ، وقد كان عبد الملك ولّى عثمان بن الوليد عُقْبَة بن أبى مُعَيْط ارمينية ، قالوا ولمّا كانت فتنة ابن الزُّبير انتقضت أرمينية وحالف أحرارها وأتباعهم ، فلمّا ولي محمّد بن مروان من قبل أخيه عبد الملك آرمينية حاربهم فظفر بهم ، فقتل وسبى وغلب على البلاد . ثمّ وعد من بقى منهم ان يعرض لهم فى الشرف ، فاجتمعوا لذلك فى كنائس من عمل خِلاط فاغلقها عليهم ووكّل بأبوابها ثمّ خوّفهم فى تلك الغزاة سُبِيت امّ يزيد بن أُسَيد من السيسَجان ، وكانت بنت بطريقها . قالوا : وولّى سليمان بن عبد الملك أرمينية عَدِىّ بن عَدِىّ بن عَمِيرة الكِنْدى ، وكان عَدِىّ بن عَمِيرة ممن نزل الرَّقَّة مفارقاً لعلى بن أبى طالب ، ثمّ ولاّه آيّاه عمر بن عبد العزيز ، وهو صاحب نهر عدى بالبَيْلَقان ، وروى بعضهم آنّ عامل عمر كان حاتم بن النعمان وليس ذلك بثبت ، ثمّ ولّى يزيد بن عبد الملك معِلَق بن صَفّار البَهْرانى ثمّ عزله وولّى الحارث بن عمرو

الطائى ، فغزا أهل اللُّكْز ففتح رستـاق حـمدان وولى الجَرَّاح بن عبد الله الحكَمى من مُذْحج أرمينية ، فنزل بَرْذَعَة ، فرفع إليـه أختلاف مكاييلها وموازينهـا ، فأقامهـا على العدل والوفاء واتَّخـذ مكيالاً يدعى الجَرَّاحى ، فأهلها يتعاملون به إلى اليـوم ، ثمَّ انَّه عبر الكُرَّ ، وسار حتَّى قطع النهر المعروف بالسَّمُّور وصار إلى الخَزَر فقتل منهم مـقتلة عظيمة ، وقاتل أهل بلاد حمزين ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق خَيْزان ، وجعل لهم قـريتين منه وأوقع بأهل غـوميك ، وسـبى منهم ثم قـفل فنزل شكّى ، وشتَّى[1] جـنده بَبرْذَعَة والبَيْلَقَان ، وجاشت الخَزرَ وعبرت الرَّسَّ فحاربهم فـي صـحراء وَرْثَان ثم انحـازوا إلي ناحيـة أَرْدَبِيل فواقـعهم على أربـعة فراســخ ممايلى أرمـينية فاقتتلوا ثلاثة أيـام فـاستشهد ومـن مـعه فسمَّى ذلك النهر نهـر الجرَّاح ، ونُسب جسـر عليه إلى الجـرَّاح ايضاً ، ثم ان هشام بن عبد الملك ولَّى مَسْلَمَة بن عبد الملك أرمينية ، ووجه على مقدمته سـعيـد بن عمـرو بن اسود الحَرَشي ، ومـعه اسحـاق بن مُسْلِم العُقَيْلى واخـوته ، وجَعْوَنَة بـن الحـارث بن خـالد أحـد بـنى عامر بن ربـيـعة بـن صَعْصَعَة وذُفـافــة خـالد ابنا عُمَيْر بن الحُبــاب السُّلَمِى والفُرات بن سلمان البـاهلى ، والوليد بن القَعْقاع العـبسى فواقع الخَزَر وقد حـاصروا وَرْثــان فكشـفهم عنهاوهزمـهـم ، فأتوا مَيْمَذ مـن عـمل أَذْرَبَيْجـان فلـمَّا تهيَّأ لقتالهم أتاه كتاب مَسْلَمَة بن عـبد الملك يلـومه عـلى قتاله الخَزَر قبل

(١) شتَّى : بالبلد أقام فيه شتاء .

قدومـه ، ويعلمـه ان قد ولّى أمر عسكره عبد الملك بن مُسْلِم العُقَيلي ، فلمَّا سلَّم العسـكر أخـذه رسول مَسْلَمَة فقيَّده وحمله إلى بَرْذَعَة فحبس في سجنها وانصرف الخَزَر فاتبعهم مَسْلَمَة وكتب بذلك إلى هشام فكتب إليه :

أَتَتْرُكُهُم بِمَيْمَذَ قَدْ تَرَاهُمْ وَتَطْلُبُهُمْ بِمُنْقَطَعِ التُّرَابِ

وأمر باخراج الحَرَشي من السجن .

قالوا : وصالح مَسْلَمَة أهل خَيْزان وامر بحصنها فهُدِم واتَّخذ لنفسه به ضياعاً وهي اليوم تعرف بحَوْز خَيْزَان ، وسالمه ملوك الجبال فصار اليه شَرْوَانْشَاه ، ولِيرَانْشاه ، وطَبَرْسَرَانْشَاه ، وفيلاَنْشَاه ، وجَرْشَانْشَاه وصار إليه صاحب مَسْقَط ، وصمد لمدينة الباب ففتحها ، وكان في قلعتها ألف أهل بيت من الخزَر فحاصرهم ورماهم بالحجارة ، ثمَّ بحديد اتخذه على هيئة الحجارة فلم ينتفع بذلك فعمد إلى العين ، التي كان أَنُوشِرْوَان اجرى منها الماءَ إلى صهريجهم فذبح البقر والغنم والقى فيه الفرث والحلتيت فلم يمكث ماؤهم الاَّ ليلة حتَّى دوَّد وانتن وفسد فلمَّا جنَّ عليهم الليل هربوا وأخلوا القلعة ، واسكن مَسْلَمَة بن عبد الملك مدينة الباب والأبواب أربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء ، فأهل الباب اليوم لا يدعون عاملاً يدخل مدينتهم الاَّ ومعه مال يفرقه بينهم وبنى هرياً للطعام ، وهرياً للشعير وخزانة للسلاح ، وأمر بكبس الصهريج ورمَّ المدينة وشرَّفها ، وكان مروان بن محمَّد مع مَسْلَمة

وواقع[1] معه الخَزَر فـأبلى وقاتل قتالا شـديداً ، ثمَّ ولَّى هشام بعد مَسْلَمَة سعيـد الحَرَشى فأقام بالثغـر سنتين ، ثمَّ ولَّى الثغر مـروان بن محمَّد ، فنزل كِسال وهو بنى مدينتهـا وهى من بَرْذَعَة على أربعين فرسخًا ، ومن تَفْلِيس على عشرين فـرسخاً ، ثم دخل ارض الخَزَر ممَّا يلى باب اللاَّن ، وادخلهما أسِيـد بن زافر السُّلَمى آبا يزيد ، ومعه ملوك الجبـال من ناحية الباب ، والأبواب فـأغار مروان على صقـالبة كانوا بأرض الخَزَر ، فـسبى منهم عشـرين الف آهل بيت فاسكنهم خَاخِيط ، ثمَّ أنَّهم قتلوا آمـيرهم وهربوا فلحقهم وقتلهم .

قـالوا : ولمَّا بلغ عظيم الخَزَر كـثـرة من وطىءَ به مـروان بلاده من الرجال وما هم عليه فى عدَّتهم وقوَّتهم نخب ذلك قلبه وملأه رُعباً ، فلمَّا دنا منه أرسل إليـه رسولا يدعوه إلى الاسـلام أو الحرب فـقال قـد قبلت الاسلام فأرسل إليَّ من يعرِضه عليَّ ففعل ، فاظهر الاسلام ووادع مروان على آن اقرَّهُ فى مملكتـه وسار مروان معه بخلق من الخَزَر فـانزلهم ما بين السَّمُور والشَّابران فى سهل ارض اللَّكْز ، ثمَّ أنَّ مروان دخل أرض السَّرير فأوقع بأهلها وفتح قلاعاً فيها ودان له مَلِك السرير ، وأطاعه فصالحه على ألف رأس ، خمس مائة غـلام وخمسمائة جارية سود الـشعور والحواجب فى كل سنة وعلى مـائة آلف مـدي تصبُّ فى اهراء البـاب ، وأخـذ منه الرهـن وصـالـح مـروان آهل تُومَان على مـائة رأس خـمسين جـاريـة ،

(١) أى نازل .

وخمسين غلاماً خماسيِّين سود الشعور والحواجب ، وعشرين ألف مدي للاهراء فى كل سنة ثمّ دخل أرض زِرِيكران فصالحه ملكها على خمسين رأساً وعشرة الف مدي للاهراء فى كلّ سنة ، ثمّ اتى أرض حمزين ، فأبى حمزين أن يصالحه فافتتح حصنهم بعد أن حاصرهم فيه شهراً ، فأحرق وأخرب وكان صلحه ايّاه على خمس مائة رأس يؤدّونها دفعة واحدة ، ثمّ لا يكون عليه سبيل وعلى أن يحمل ثلاثين ألف مدى إلى اهراء الباب فى كلّ سنة ثمّ اتى سدان ، فافتحها صلحاً على مائة رأس يعطيه أيّاها صاحبها دفعة ، ثمّ لا يكون عليه سبيل فيما يستقبل وعلى أن يحمل فى كلّ سنة إلى اهراء الباب خمسة الف مدي ووظّف على أهل طَبَرْسَرَانْشَاه عشر الف مدي فى كلّ سنة تحمل إلى اهراء الباب ولم يوظّف على فِيلاَنْشاه شيئاً ، وذلك لحسن غنائه وجميل بلائه واحماده أمره ، ثم نزل مروان على قلعة اللَّكْز وقد امتنع من اداء شيء من الوظيفة ، وخرج يريد صاحب الخَزَر فقتله راعٍ بسهم رماه به وهو لا يعرفه فصالح أهل اللَّكْز على عشرين الف مدى تحمل إلى الاهراء ، وولّى عليهم خَشْرَماً السُّلَمى ، وسار مروان إلى قلعة صاحب شرْوان ، وهى تدعى خِرش ، وهى على البحر فأدعن بالطاعة والانحدار إلى السهل ، وألزمهم عشرة ألف مُدي فى كلّ سنة ، وجعل على صاحب شرْوان أن يكون فى المقدمة إذا بدا المسلمون بغزو الخزر وفى الساقة اذا رجعوا ، وعلى فِيلاَنْشاه أن يغزو معهم فقط ، وعلى طَبَرسَرَانْشاه أن يكون فى الساقة إذا بدأوا ، وفى المقدمة إذا انصرفوا ، وسار مروان إلى الدُّودَانيَّة ، فأوقاع بهم ثم

جاءَه قتل الوليد بن يزيد ، وخـالف عليه ثابت بن نُعيم الجُذامى ، واتى مُسافر القـصَّاب وهو ممَّن مكَّنه بالباب الضحَّاك الخارجى فـوافقه على رأيه وولاَّه أرمينية وأذَرْبَيْجَان ، وأتـى أرْدَبيل مستخفـياً ، فخوج مـعه قوم من الشراة منها بَاجَرْوانْ فوجدوا بها قوماً يرون رأيهم فانضموا إليهم ، فأتوا وَرْثان فصـحبهم أهلهـا بشر كثيـر كانوا على مثل رأيهم ، وعـبرُوا إلى البَيْلَقَان فصحـبتهم منهم جمـاعة كثيرة كـانوا على مثل رأيهم ، ثم نزل يونان ، وولّى مروان بن مـحمَّد ، اسـحاق بن مُسْلِم أرمينـية ، فلم يزل يقاتل مُسافِراً وكان فى قلعة الكِلاب بالسِّيسَجَان .

ثم لمَّا جاءت الدولة المبـاركة[1] ، وولى أبو جعـفر المنصـور الجزيرة وأرمينية فى خـلافة السفَّاح ابى العبَّاس (رحـه) وجَّه إلى مُسَافِر وأصحابه قائداً من أهل خراسان فقـاتلهم حتَّى ظفر بهم وقتل مُسَافِراً ، وكان أهل البَيْلَقان مـتحـصِّنين فى قلعة الكِلاب ورئيـسهم قـدد بن أصفـر البَيْلَقانى فاستنزلوا بأمان ، ولمَّا استخلف المنصور (رحه) ولّى يزيد بن أُسَيد السُلَمى أرمـينيـة فـفـتح باب اللاَّن ورتَّب فـيه رابـطة من أهل الديوان ، ودوَّخ الصَّنَارِيَّة حتَّى أدُّوا الخـراج فكتب إليه المنصور يأمـره بمصاهرة ملك الخَزَر ففعل وولدت له ابنتـه منه إبناً فمات وماتت فى نفـاسها وبعث يزيد إلى نفَّاطة أرض شَرْوان ومَلاَّحاتها فجباها ، ووكَّل به وبنى يزيد مدينة أرْجِيل الصغرى ومدينة أرْجِيل الكبرى ، وأنزلهما أهل فِلَسْطِينَ .

---

(١) يقصد الدولة العباسية .

حدّثنى محمّد بـن اسماعيل عن جماعة من مـشايخ أهل بَرْذَعَة قالوا الشّمَاخيّة التى فى عـمل شَرْوان نسبت إلى الـشّمَاخ بن شُجَاع ، فكان ملك شَرْوان فى ولاية سعيد بن سالم الباهلى أرمينية .

وحدّثنى محمّد بن اسماعيل عن المشيخة ، انّ أهل أرمينية ، انتقضوا فى ولاية الحسن بن قَحْطَبَة الطائى بعد عزل ابن أُسَيد ويكّار بن مُسْلم العُقَيلى ، وكان رئيسهم مُوشَائِيل الارمنى ، فبعث إليه المنصور (رحه) الامداد ، وعليهم عامر بن إسماعيل فواقع الحسن موشَائِيل فقُتل وفُضّت جموعه واستقامت له الأمور ، وهو الذى نسب إليه نهر الحسن بالبَيْلَقان ، والباغ الذى يعرف بباغ الحسن ببَرْذَعَة والضياع المعروفة بالحَسَنيّة ، وولى بعد الحسن بن قَحْطَبَة عثمان بن عُمَارة بن خُرَيْم ثم رَوْح ابن حاتم المهلّبى ثم خُزَيمة بن خازم ، ثم يزيد بن مَزْيَد الشّيبانى ، ثم عبيد الله بن المهدى ، ثم الفضل بن يحيى ، ثم سعيد بن سالم ، ثم محمّد بن يزيد بن مَزْيَد ، وكان خُزَيمة أشدّهم ولاية ، وهو الذى سنّ المساحة بدَبِيل والنَّشْوَى ولم يكن قبل ذلك ، ولم يزل بطارقة أرمينية مقيمين فى بلادهم يحمى كلّ واحد منهم ناحيته ، فإذا قدم الثغر عامل من عُمّاله داروه ، فان رأوا منه عفّة وصرامة ، وكان فى قوّة وعدّة أدّوا إليه الخراج، واذعنوا له بالطاعة والاّ اغتمزوا فيه واستخفّوا بأمره، ووليهم خالد بن يزيد بن مَزْيد فى خلافة المأمون فقبل هداياهم، وخلطهم بنفسه فأفسدهم ذلك من فعله ، وجرّأهم على من بعده من عُمّال المأمون .

ثمّ ولّى المعتــصم بالله الحسن بن عليّ البـاذَغِيسى ، المعـروف بالمأمونى ، الثغرَ ، فأهمل بطارقــته وأحراره ولان لهم حتى ازدادوا فساداً على السلطان وكَلَباً على من يليهم من الرعية وغلب إسحاق بن إسماعيل بن شُعَيب مولى بنى أمــيَّة على جُرْزان ، ووثب سَهْل بن سُنْباط البطريق على عـامل حَيْدَر بن كاوس الأفْشِين على أرمــينيــة فقــتل كاتبــه ، وأفلت بحشــاشة نفســه ، ثمّ ولى أرمينيــة عمَّال كانوا يقــبلون من أهلها العــفو ويرضون من خراجــها بالميسور ، ثم إنّ أميــر المؤمنين المتوكّل على الله ، ولّى يوسف بن محــمّد بن يوسف المَرْوَزى أرمينيــة لسنتين من خلافــته ، فلمّا صار بخِلاط أخــذ بطريقها بُقْرَاط بن أشُوط فــحمله إلى سُرَّ مَنْ رَأَى فأوحش البطارقة والأحرار والمتغلِّبــة ذلك منه ، ثمّ انّه عمد عامل له يقال له العَلاَء بن أحــمد إلى دير بالسِّيــسَجَان يعرف بدير الأقــداح ، لم تزل نصارى أرمينية تعظِّمه وتهدى اليه ، فأخــذ منه جميع ما كان فيه وعسف أهله فأكــبرت البطارقة ذلك وأعظــمته وتكاتبت فــيه وحضّ بعضــها على بعــض الخــلاف والنقض ودسّوا إلى الخــويثــيــة ، وهم علوج يعــرفــون بالأرْطان ، فى الوثوب بيوسف وحرّضوهــم عليه لما كان من حمله بُقْراط بطريقهم ، ووجَّه كلّ امرىء منهم ومن المتغلّبة خيلاً ، ورجالاً ليؤيّدوهم على ذلك فوثبوا به بطَرُون ، وقد فرق أصحــابه فى القرى فقتلوه واحتووا على مـا كان فى عــسكره ، فــولّى أميــر المؤمنين المتــوكّل على الله ، بُغَا الكبير ارمــينية ، فلمّا صار إلى بَدْلِيس أخــذ موسى بن زُرَارَة ، وكان ممّن هَوِيَ قتل يوسف وأعــان عليه غضبــاً لبُقْراط ، وحارب الخويثيــة ، فقتل

منهم مقتلة عظـيمة وسبى سبيـاً كثيراً ، ثم حاصـر أشُوط بن حمزة بن جاجق بطريق البُسْفُرَّجـان وهو بالباق فاستنزله من قلعـته وحمله إلى سُرَّ مَن رأى وسار إلي جُرْزان فظفر بإسحاق بن اسماعيل فقتله صبراً ، وفتح جُرّزان وحمل من بأرّان وظاهر أرمـينية من بالسِّيسَجَان من أهل الخلاف والمعصـية من النصارى وغيـرهم حتى صلح ذلك الثغر صـلاحاً لم يكن على مثله ثمَّ قدم سُرَّ مَنْ رأى فى سنة ٢٤١ .

فتوح مصر والمغرب

قالوا : وكان عـمر بن العاصي حاصر قَيْسـارية بعد انصراف الناس من حـرب اليَرْمُوك ، ثمَّ استـخلف عليـها ابنـه حين ولى يزيد بن أبى سفـيان ومضى إلى مـصر من تِلْقَاء نفســه فى ثلثة ألف وخـمس مائة ، فغضب عمر لذلك وكتب إليـه يوبّخه ويعنّفه على افْتتانه عليه برأيه وأمره بالرجوع إلى مـوضعه ان وافاه كتـابه دون مصر فورد الكتـاب عليه وهو بالعَرِيش . وقـيل أيضاً أنَّ عـمـر كتب إلى عـمـرو بن العاصى يأمـره بالشخوص إلى مصر فوافاه كتابه وهو محاصر قَيْسارية ، وكان الَّذى اتاه شَرِيك بن عَبْدَة فأعطاه الف دينار فـأبى شَرِيك قبولهـا ، فسأله أن يسـتر ذلك ولا يُخبر به عمر .

قالوا : وكان مـسير عمرو إلى مـصر فى سنه ١٩ فنزل العَرِيش ثمَّ أتى الفَرَمَاءَ ، وبهـا قوم مـسـتـعدُّون للقـتال فحـاربهم فـهزمهـم وحوى

عسكرهم ومضى قُدُماً إلى الفُسْطاط فنزل جنان الرَّيحان وقد خندق اهل الفُسْطاط ، وكان اسم المدينة اليُونة فسمَّاها المسلمون فُسْطاطاً لأنهم قالوا هذا فُسْطاط القوم ومجمعهم وقوم يقولون انَّ عمراً ضرب بها فسطاطاً فسمِّيت بذلك .

قالوا : ولم يلبث عمرو بن العاصى وهو محاصر أهل الفُسْطاط أن ورد عليه الزُّبير بن العوَّام بن خُوَيْلد فى عشرة ألف ، ويقال فى اثنى عشر ألفاً ، فيهم خارِجَة بن حُذافة العَدَوىّ ، وعُمَير بن وهب الجُمَحى ، وكان الزبير قد همَّ بالغزو وأراد أتيان أنطاكية فقال له عمر : يا أبا الله هل لك فى ولاية مصر فقال لا حاجة لى فيها ، ولكنّى اخرج مجاهداً وللمسلمين مُعَاوناً ، فان وجدتُ عمراً قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدتُ إلى بعض السواحل فرابطتُ به وإن وجدتُه فى جهاد كنتُ معه فسار على ذلك .

قالوا: وكان الزبير يُقَاتِل من وجه ، وعمرو بن العاصى من وجه ، ثمَّ انَّ الزبير اتى بسُلَّم فصعد عليه حتَّى أوفى على الحصن ، وهو مجرَّد سيفه فكبَّر وكبَّر المسلمون واتبعوه ، ففتح الحصن عنوة واستباح المسلمون ما فيه وأقرَّ عمرو أهله على أنَّهم أهل ذمَّة ووضع عليهم الجزية فى رقابهم والخراج فى ارضهم، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطَّاب «رضه» فأجازه ، واختطّ الزبير بمصر وابتنى داراً معروفة وايَّاها نزل عبد الله بن الزبير حين غزا افريقية مع ابن أبى سَرْح وسُلَّم الزبير باق فى مصر .

. وحدَّثنا عـفَّان بن مُسْلِم قال حدَّثنا حـمَّاد بن سَلَمَة ، عن هشام بن عروة انَّ الزبير بن العوَّام بعث إلى مصر فقيل له انَّ بها الطعن والطاعون فقال انمّا جئنا للطعن والطاعون قال فوضعوا السلاليم فصعدوا عليها .

وحدَّثنى عمرو الناقد قال : حدَّثنى عبد الله بن وهب المصرى ، عن ابن لُهَيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أنَّ عـمرو بن العاصى دخل مصر ومعه ثلاثة الف وخمس مائة ، وكان عمر بن الخطَّاب قد أشفق لما أخبر به من أمرها ، فأرسل الزبير بن العوَّام في اثنى عشـر ألفاً ، فشهد الزبير فتح مصر واختطَّ بها .

وحدَّثنى عمـرو الناقد عن عبد الله بن وهب المصـرى عن ابن لُهَيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، عن عبد الله بن المغيرة بن أبى بُرْدَة عن سفيان بن وهب الخَوْلانى ، قال : لمَّا فـتحنا مصـر بغير عهـد قام الزبير فـقال اقسمهـا يا عمرو فأبى فقال الزبـير : والله لتقسمنَّها كـما قسم رسول الله ﷺ خَيْبَر ، فكتب عمرو إلى عـمر فى ذلك فكتب إليه عمـر اقرّها حتّى يغزو منها حَبَلُ الحَبَلَة[1] . قال وقـال عبد الله بن وهـب ، وحدَّثنى ابن لُهَيْعة عن خـالد بن مَيْمُون ، عن عبد الله بن المُغـيرة ، عن سفـيان بن وهب بنحوه .

وحدَّثنى القاسم بن سلاَّم قـال : حدَّثنا أبو الأسود عن ابن لُهَيْعة ، عن يزيد بن أبى حـبيب ، أنّ عمـرو بن العاصى دخل مـصر فى ثلاثة

(١) الحَبَل : الولد فى بطن امه : الحَبَلة : النساء الحابلات .

ألف وخمس مائة ، وكان عمر قد اشفق من ذلك ، فأرسل الزبير بن العوّام فى أثنى عشر الفاً ، فشهد معه فتح مصر ، قال : فاختلطّ الزبير بمصر والاسكندريّة خطّتين .

وحدثّنى ابراهيم بن مُسْلِم الخوارِزمى ، عن عبد الله بن المبارك عن ابن لُهَيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى فِراس ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال اشتبه على الناس أمر مصر فقال قوم فُتحت عنوة ، وقال آخرون فتحت صلحاً ، والثَلَجُ فى أمرها أنّ أبى قدمها فقاتله أهل ألْيُونة ففتحها قهراً وأدخلها المسلمين وكان الزبير أوّل مَنْ عَلا حصنها فقال صاحبها لأبى أنّه قد بلغنا فعلكم بالشام ، ووضعكم الجزية على النصارى ، واليهود وإقراركم الأرض فى أيدى أهلها ، يعمرونه ويؤدّون خراجها ، فان فعلتم بنا مثل ذلك كان أردّ عليكم من قتلنا وسبينا وإجلائنا ، قال : فاستشار أبى المسلمين فاشاروا عليه بأن يفعل ذلك إلاّ نفر منهم سألوا أن يقسم الأرض بينهم ، فوضع على كلّ حالم دينارين جزية ، إلاّ أن يكون فقيراً ، وألزم كلّ ذى أرض مع الدينارين ثلاثة أرادب حنطة ، وقسطىّ زيت ، وقسطىّ عسل ، وقسطىّ خلّ رزقاً للمسلمين تجمع فى دار الرزق وتقسم فيهم وأُحْصِى المسلمون فالزم جميع أهل مصر لكلّ رجل منهم جبّة صوف وبرنساً أو عمامة وسراويل وخفّين فى كلّ عام ، أو عدل الجبّة الصوف ثوباً قِبْطِياً ، وكتب عليهم بذلك كتاباً ، وشرط لهم إذا وفوا بذلك أن لا تباع نساؤهم وأبناؤهم ولا يُسبوا

وأن تُقَرَّ اموالهم وكنوزهم فى أيديهم فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر فأجازه ، وصارت الأرض أرض خراج ، إلاّ أنَّه لمَّا وقع هذا الشرط والكتاب ظنَّ بعض الناس أنَّها فتحت صلحاً . قال ولمَّا فرغ ملك اليُونة من أمر نفسه ومن معه فى مدينته صالح عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليُّونة ، فرضوا به وقالوا : هؤلاء الممتنعون قد رضوا وقنعوا بهذا فنحن به أقنع لأنَّنا فرش لا منعة لنا ، ووضع الخراج على أرض مصر فجعل على كلّ جريب ديناراً وثلاثة أرادب طعاماً ، وعلى رأس كلّ حالم دينارين ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطَّاب « #» .

وحدَّثنى عمرو الناقد ، عن عبد الله بن وهب المصرى، عن اللَّيث ، عن يزيد بن أبي حبيب انَّ المُقَوْقِس صالح عمرو بن العاصى على أن يسير من الروم من أراد ويقرّ من أراد الاقامة من الروم على أمر سمَّاه ، وأن يفرض على القِبْط دينارين فبلغ ذلك ملك الروم فتسخطه وبعث الجيوش فأغلقوا باب الاسكندرية وآذنوا عَمْرً بالحرب ، فخرج إليه المُقَوْقِس فقال: أسألك ثلاثاً أن لا تبذل للروم مثل الَّذى بذلت لى ، فانَّهم قد استغشُّونى ، وان لا تنقض بالقِبْط فانَّ النقض لم يأت من قبلهم ، وإن متُّ فمُرْ بدفنى فى كنيسة بالاسكندرية ذكرها ، فقال عمرو هذه اهونهنَّ علي ، وكانت قرى من مصر قاتلت فسبى منهم ، والقرى بِلْهيت والخَيْس وسُلْطَيْس فوقع سباؤهم بالمدينة ، فردّهم عمر بن الخطَّاب وصيَّرهم وجماعة القِبْط أهل ذمَّة ، وكان لهم عهد لم ينقضوه ، وكتب عمرو بفتح الاسكندرية إلى عمر .

أمّا بعد فـانّ الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة قـسراً بغير عـهد ولا عقد وهى كلُّها صلح فى قول يزيد بن أبى حبيب .

حدَّثنـى أبو أيُّوب الرَّقّى ، عن عبـد الغفّار ، عن ابن لُهـيْعة ، عن يزيد بن أبى حـبيب قـال : جبى عـمرو خراج وجـزيتهـا ألفى ألف ، وجباها عـبد الله بن سعد بن أبـى سَرْح أربعة ألف آلف ، فقال عـثمان لعمرو أنّ اللقاح بمصر بعدك قد درّت ألبانها ، قال : ذاك لأنّكم أعجفتم أولادها . قال : وكـتب عـمـر بن الخطّاب فى سنة ٢١ إلى عـمـرو بن العاصي يعلمه ما فيه أهل المدينة من الجـهد ، ويأمره أن يحمل ما يقبض من الطعام فى الخـراج ، إلى المدينة فى البحـر فكان ذلك يُحْمَل ويحمَل معـه الزيت ، فإذا ورد الجار تولّى قبـضه سعـد الجار ، ثمّ جُعل فى دار بالمدينة ، وقسم بين الناس بمكيال ، فـانقطع ذلك فى الفتنة الأولى ، ثمّ حُمل فى ايّام معاوية ويزيد ، ثمّ انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ثمّ لم يزل يحمل إلى خلافة أبى جعفر وقُبَيلها .

وحدّثنى بكر بن الهَيْثَم قال حدّثنى أبو صـالح عبد الله بن صالح ، عن اللّيث بن سـعـد ، عن يزيد بن أبى حـبيب أنّ أهل الجـزية بمصـر صولحوا فى خـلافة عمر بعـد الصلح الأوّل مكان الحنطة والزيت والعسل والخلّ على دينارين دينارين فالزم كلّ رجل اربعـة دنانيـر فرضـوا بذلك وأحبّوه .

وحدّثنى أبو أيّوب الرّقّى قـال : حدّثنى عبد الغـفّار الحرّانى عن ابن

لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب عن الجَيْشانى ، قال سمعتُ جماعة ممَّن شهد فتح مصر يخبرون أنَّ عمرو بن العاصي لمَّا فتح الفُسْطاط ، وجَّه عبد الله بن حُذافة السَّهمى إلى عين شَمْس ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها علي مثل حكم الفُسْطاط ، ووجَّه خَارِجَة بن حُذافة العَدَوِىَّ إلى الفَيُّوم والأُشْمُونَيْن وإخْمِيم والبَشَرُودَات وقرى الصعيد ففعل مثل ذلك ، ووجَّه عُمَيْر بن وهب الجُمَحى إلى تِنّيس ودمْياط وتُونَة ودَميرة وشَطَا ودقَهْلَة وبَنَا وبُوصِير ، ففعل مثل ذلك ووجهّ عُقْبَة بن عامر الجُهَنِى ويقال وَرْدان مولاه صاحب سوق وَرْدان بمصر إلى سائر قرى أسفل الأرض ففعل مثل ذلك ، فاستجمع عمرو بن العاصى فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج .

وحدَّثنا القاسم بن سلاَّم قال حدثنا عبد الغفَّار الحرَّانى عن ابن لُهَيعة عن إبراهيم بن محمَّد ، عن ايُّوب بن أبى العالية عن أبيه قال سمعتُ عمرو بن العاصى يقول على المنبر لقد قعدتُ مقعدى هذا وما لأحد من قِبْط مصر علىَّ عهد ولاعقد ، ان شئتُ قتلتُ ، وان شئتُ خمستُ ، وان شئتُ بعتُ ، الاّ أهل أَنطابُلُس فانَّ لهم عهداً يوفى لهم به .

وحدَّثنى القاسم بن سلاَّم قال حدَّثنى به عبد الله بن صالح ، عن موسى بن على بن رِباح اللَّخْمى ، عن أبيه قال المغرب كلُّه عنوة .

حدَّثنا أبو عبيد عن سعيد بن أبى مريم عن ابن لُهَيعة عن الصَّلْت ابن أبى عاصم كاتب حيَّان بن شُرَيح انَّه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز

إلى حيَّان ، وكان عامله على مصر آنَّ مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

وحدَّثنى أبو عبيدة قال حدَّثنا سعيد بن أبى مريم ، عن يحيى بن أيُّوب ، عن عبيد الله بن أبى جعفر قال كتب معاوية إلى وَرْدان مولى عمرو أن زد على كلّ امرىءٍ من القِبط قيراطاً ، فكتب اليه كيف أزيد عليهم وفى عهدهم آن لا يزاد عليهم .

وحدَّثنى محمَّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال : سمعت عروة بن الزبير يقول : أقمت بمصر سبع سنين ، وتزوَّجت بها فرأيت آهلها مجاهيد ، قد حمل عليهم فوق طاقتهم ، وإنَّما فتحها عمرو بصلح وعهد وشىء مفروض عليهم .

وحدَّثنى بكر بن الهَيْثَم ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى عِلاَقَة ، عن عُقْبَة بن عامر الجُهَنى قال : كان لأهل مصر عهد وعقد كتب لهم عمرو أنَّهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وآولادهم ، لا يباع منهم أحد ، وفرض عليهم خراجاً لايزاد عليهم ، وأن يدفع عنهم خوف عدوّهم قال عقبة ، وأنا شاهد على ذلك .

وحدَّثنى الحسين بن الأسود ، قال حدَّثنى يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن لُهَيْعَة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن من سمع عبد الله بن المُغيرة بن أبى بُرْدَة قال : سمعتُ سفيان بن وهب

الخَوْلانى يقول : لمَّا افتتحنا مصر بلا عـهد قام الزُّبَير بن العوَّام فقال : يا عمــرو اقسـمــها بيننا ، فقال عـمرو لا والله لا أقسمهـا حتَّى أكتب إلى عمر ، فكتب إلى عمر ، فكتب اليه فى جواب كتابه أن أقرّها حتَّى يغزو منها حَبَلُ الحَبَلَة (أو قال يغدو) .

وحدَّثنى محمَّد بن سعد ، عن الواقدى محمَّد بن عمر عن أسامة بن زيد بن أَسْلَم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : فتح عمرو بن العاصى مصر سنة ٢٠ ومعه الزبير ، فلــمَّا فتحها صالحه أهل البلد على وظيـفة وظّفها عليهم ، وهى ديناران على كلّ رجل ، وأخرج النساء والصبيان من ذلك فبلغ خراج مصر فى ولايـته ألفى ألف دينار ، فكان بعد ذلك يبلغ أربعة ألف ألف دينار . وحدثنى أبو عبيد قـال : حدَّثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب ، أنَّ المُقَوْقِس صاحب مـصر صالح عمرو ابن العـاصي ، على أن فـرض على القـبط دينارين ، فـبلغ ذلك هِرَقْل صاحب الروم ، فـسخط أشدّ السخط ، وبعث الجـيوش إلى الاسكندرية واغلقها ، ففتحها عمرو بن العاصى عنوة . وحدَّثنى ابن القَتَّات وهو أبو مـسعـود ، عن الهَيْثم عن المُجـالِد ، عن الشَّعْبى انَّ علىّ بن الحـسين أو الحسين نفسه كلَّم معاوية فى جزية أهل قرية أمّ ابراهيم بن رسول الله ﷺ بمصر فوضعها عنهم ، وكان النبى ﷺ يوصى بالقِبْط خيراً .

وحدَّثنى عمرو ، عن عـبد الله بن وهب ، عن مالك والليث ، عن الزُّهْرى ، عن ابن لِكَعْب بن مـالك انَّ النبى ﷺ قال : « اذا افـتـتـحتم

مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فانَّ لهم ذمَّة ورحماً ، وقال الليث كانت امّ اسماعيل منهم .

حدَّثنى أبو الحسن المدائنى عن عبد الله بن المبارك قال كان عمرو بن الخطَّاب يكتب اموال عمَّاله اذا ولَّاهم ، ثمَّ يقاسمهم ما زاد على ذلك ، وربمَّا أخذه منهم ، فكتب إلى عمرو بن العاصى أنَّ قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر ، فكتب إليه عمرو انَّ ارضنا ارض مزدرع ومتجر فنحن نصيب فضلاً عن ما نحتاج إليه لنفقتنا ، فكتب إليه انّى قد خبرتُ من عمَّال السوء ما كفى ، وكتابك إلىّ كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحقّ ، وقد سُؤْتُ بك ظنًّا ، وقد وجهتُ إليك محمَّد بن مَسْلَمَة ليقاسمك مالك ، فاطلعه طلعة وأخرج اليه ما يطالبك ، وأعْفِه من الغلظة عليك ، فانَّه برَّح الخفاء فقاسَمُ ماله .

حدّثنى المدائنى ، عن عيسى بن يزيد قال : لمَّا قاسم محمَّد بن مَسْلَمَة عمرو بن العاصى ، قال عمرو انَّ زماناً عاملنا فيه ابن حَنْتَمَة هذه المعاملة لزمان سوء ، لقد كان العاصى يلبس الخزّ بكفاف الديباج ، فقال محمَّد مَهْ[1] لولا زمان ابن حَنْتَمَة ، هذا الَّذى تكرهه أُلْقيت مُعْتَقِلاً عَنْزاً بفناء بيتك يسرّك غزرها ، ويسوءُك بكوءُها ، قال انشدك الله أن لا تخبر

(١) مه : بمعنى اسكت .

عمر بقولى فانّ المجالس بالأمانة ، فقال لا أذكر شيئاً ممّا جرى بيننا وعمر حيّ .

وحدَّثنى عـمرو الناقد ، عن عـبد الله بن وهب ، عن ابن لَهَيْعَة ، عن عبد الله بن هُبَيْرة انَّ مـصر فتحت عنوة . وحـدَّثنى عمرو ، عن ابن وهب ، عن ابن لُهَيْعَة ، عن ابن أَنْعَم عن أبـيه ، عن جـدّه وكـان ممَّن شهد فتح مصر ، قال فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد .

فتح الإسكندرية

قالوا : لَمّا افـتـتح عـمرو بن العاصى مصر أقـام بها ، ثمَّ كتب إلى عمر بن الخطّاب يستأمـره فى الزحف إلى الإسكندرية ، فكتب إليه يأمره بذلك ، فسار إليها فى سنة ٢١ ، واستخلف على مصر خارجَة بن حُذافة بن غانم بن عامـر بن عبد الله بن عبـيد بن عَوِيج بن عَدِيّ بن كَعب بن لؤىّ بن غالب، وكان مَنْ دون الإسكندرية من الروم والقبط قد تجمعوا له وقـالوا نغزوه بالفـسطاط قـبل ان يبلغنا ، ويروم الاسكندريـة ، فلقيـهم بالكِرْيَوْن فهـزمهم وقتل منهم مقـتلة عظيمة ، وكان فـيهم من أهل سَخَا وبِلْهِيت والخَيْس وسُلْطَيْس وغـيرهم قـوم رفـدوهم وأعانوهم ، ثمَّ سـار عمرو حتَّى انـتهى إلى الاسكندرية ، فوجد أهلها معـدّين لقتاله ، الاَّ أنَّ القبط في ذلك يحبُّون الموادعة فـأرسل اليه المُقَوْقِس يسأله الصلح والمهادنة إلى مدَّة ، فـأبى عمرو ذلك ، فـأمر المُقَوْقِس النساء أن يقـمن على سور

المدينة مقبلات بوجوههنّ إلى داخله ، وأقام الرجال فى السلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبهم بذلك فأرسل إليه عمرو أنّا قد رأينا ما صنعت وما بالكثرة غَلَبْنَا مَنْ غَلَبْنَا ، فقد لقينا هِرَقْل ملككم ، فكان من أمره ما كان . فقال المُقَوْقِس لأصحابه قد صدق هؤلاء القوم ، أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتّى أدخلوه القسطنطينيّة ، فنحن أولى بالاذعان ، فأغلظوا له القول وأبوا إلاّ المحاربة ، فقاتلهم المسلمون قتالا شديداً ، وحصروهم ثلاثة أشهر ، ثمّ إنّ عمراً فتحها بالسيف ، وغنم ما فيها ، واستبقى أهلها ولم يقتل ، ولم يسبِ ، وجعلهم ذمّة كأهل اليُونة ، فكتب إلى عمر بالفتح مع معاوية بن حُدِيج الكِنْدى ، ثمّ السَّكُونى ، وبعث إليه معه بالخمس . ويقال أنّ المُقَوْقِس صالح عمراً على ثلاثة عشر ألف دينار ، على أن يخرج من الإسكندرية من أراد الخروج ، ويقيم بها من أحبّ المقام ، وعلى أن يفرض على كلّ حالم من القبط دينارين ، فكتب لهم بذلك كتابا ، ثمّ أنّ عمرو بن العاصى استخلف على الاسكندرية عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عَدِىّ بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَىّ فى رابطة من المسلمين ، وانصرف إلى الفسطاط وكتب الروم إلى قُسْطَنْطِين بن هِرَقْل ، وهو كان الملك يومئذ يخبرونه بقلّة من عندهم من المسلمين وبما هم فيه من الذلّة ، وأداء الجزية ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له مَنُويل فى ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة ، فدخل الاسكندرية وقتل من بها من روابط المسلمين الاّ من لطف للهرب فنجا وذلك فى سنة ٣٥ ، وبلغ عمْراً الخبر فسار اليهم

فى خمسة عشر ألفاً ، فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيمايلى الاسكندرية من قرى مصر ، فلقيهم المسلمون فرشقوهم بالنشّاب ساعة ، والمسلمون مترّسون ، ثمّ صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثمّ أنّ أولئك الكفرة ولّوا منهزمين ، فلم يكن لهم ناهياً ولا عرجة دون الاسكندرية فتحصّنوا بها ونصبوا العرّادات[1] فقاتلهم عمرو عليها أشدّ قتال ، ونصب المجانيق فأُخذت جُدُرُها ، والحّ بالحرب حتّى دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرّيّة وهرب بعض رومها إلى الروم ، وقُتل عدوّ الله منُويل ، وهدم عمرو والمسلمون جدار الاسكندرية ، وكان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلنّ ذلك . وقال بعض الرواة إنّ هذه الغزاة كانت فى سنة ٢٣ ، وروى بعضهم انّهم نقضوا فى سنة ٢٣ ، وسنة ٢٥ والله أعلم .

قالوا : ووضع عمرو على أرض الاسكندرية الخراج ، وعلى أهلها الجزية ، وروى أنّ المُقَوْقِس اعتزل أهل الاسكندرية حين نقضوا فأقرّه عمرو ومن معه على أمرهم الأوّل ، وروى أيضاً انّه قد كان مات قبل هذه الغزاة . حدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن اسحاق بن عبد الله بن ابى فَرْوَة ، عن حَيّان بن شُرَيح ، عن عمر بن عبد العزيز «رضه» أنّه قال لم نفتح قرية من المغرب على صلح إلاّ ثلاثاً : الاسكندرية ، وكفرطيس ، وسُلْطَيس ، فكان عمر يقول من أسلم من أهل هذه المواضع خلّى سبيله وسبيل ماله .

(١) العرّادات: ج عرّادة، وهى آلة حربية لرمى الحجارة.

حدّثني عمرو الناقد قال حدثنا ابن وهب المصرى ، عن ابن لُهَيْعَة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، انه قال افتتح عمرو بن العاصى الاسكندرية فسكنها المسلمون فى رباطهم ، ثم غزوا وابتدروا إلي المنازل ، فكان الرجل يأتى المنزل الّذى كان ينزله فيجد صاحبه قد نزله وبدر إليه ، فقال عمرو : انّى اخاف ان تخرب المنازل اذا كنتم تتعاودونها ، فلمّا غزا فصاروا عند الكرْيَوْن ، قال لهم سيروا على بركة الله ، فمن ركز منكم رمحاً فى دار فهى له ولبنى ابيه ، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى بعض بيوتها ، ويأتى الآخر فيركز رمحه كذلك أيضاً ، فكانت الدار بين النفسين والثلاثة ، فكانوا يسكنونها فاذا قفلوا سكنها الروم ، فكان يزيد بن أبى حبيب يقول لا يحلّ لأحد شىء من كرائها ، ولا تباع ولا تورث انّما كانت لهم سكنى أيّام رباطهم ، فلمّا كان قتالها الآخر وقدمها مَنُويل الرومى الخصىّ، أغلقها اهلها ففتحها عمرو واخرب سورها .

قالوا : ولمّا ولّى عمرو وَرْدان مولاه الاسكندرية ورجع إلى الفسطاط فلم يلبث الاّ قليلاً حتّى اتاه عزله فولّى عثمان بعده، عبد الله بن لُؤَىّ ، وكان اخا عثمان من الرضاعة ، وكانت ولايته فى سنة ٢٥ . ويقال : إنّ عبد الله بن سعد ، كان على خراج مصر من قبل عثمان ، فجرى بينه وبين عمرو كلام ، فكتب عبد الله يشكو عمْراً فعزله عثمان وجمع العملين لعبد الله بن سعد ، وكتب اليه يعلمه انّ الاسكندرية فتحت مرّةً عنوة وانتقضت مرّتين، ويأمره أن يلزمها رابطة لا تفارقها وان يدرّ عليهم الأرزاق ويعقب بينهم فى كلّ ستّة أشهر .

وحدّثنى محمد بن سعد عن الواقدى انّ ابن هُرْمُز الأعرج القارئ كان يقول خير سواحلكم رباطاً الاسكندرية ، فخرج إليها من المدينة مرابطاً فمات بها سنة ١١٧ .

وحدّثنى بكر بن الهَيْثَم ، عن عبد الله بن صالح ، عن موسى بن علىّ ، عن ابيه قال : كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر ألف دينار فلمّا كانت ولاية هشام بن عبد الملك بلغت ستّة وثلاثين ألف دينار .

حدّثنى عمرو ، عن ابن وهب ، عن ابن لُهَيْعَة ، عن يزيد بن أبى حبيب قال : كان عثمان عزل عمرو بن العاصى عن مصر ، وجعل عليها عبد الله بن سعد ، فلمّا نزلت الروم الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان ان يقرّ عمْراً حتّى يفرغ من قتال الروم لأن له معرفة بالحرب وهيبة فى أنفس العدوّ ففعل حتّى هزمهم ، فاراد عثمان أن يجعل عمْراً على الحرب ، وعبد الله على الخراج فأبى ذلك عمرو وقال أنا كماسك قرنى البقرة ، والأمير يحلبها فولّى عثمان بن سعد مصر ، ثمّ اقامت الحبش من البيما بعد فتح مصر يقاتلون سبع سنين ما يقدر عليهم لما يفجرون من المياه فى الغياض . قال عبد الله بن وهب ، وأخبرنى الليث بن سعد ، عن موسى بن على ، عن أبيه أنّ عمْراً فتح الاسكندرية الفتح الآخر عنوة فى خلافة عثمان بعد وفاة عمر « رحه » .

فتح برقة وزويلة

حدَّثني محمَّد بن سعد، عن الواقدي، عن شُرَحْبِيل بن أبي عَوْن، عن عبد الله بن هُبَيْرَة قال لمَّا فتح عمرو بن العاصي الاسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتَّى قدم بَرْقَة، وهي مدينة انْطَابُلُس، فصالح أهلها على الجزية وهي ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبُّوا بيعه. حدَّثني بكر بن الهَيْثَم، قال حدثنا عبد الله بن هُبَيْرَة قال: صَالَح عمرو بن العاصي أهل انْطَابُلُس ومدينتها بَرْقَة وهي بين مصر وإفريقية بعد أن حاصرهم وقاتلهم على الجزية، على أن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا في جزيتهم، وكتب لهم بذلك كتاباً.

حدَّثني محمَّد بن سعد، عن الواقدي، عن مَسْلَمَة بن سعيد عن اسحق بن عبد الله بن أبي فَرْوَة قال: كان أهل برقة يعشون بخراجهم إلى والي مصر من غير أن يأتيهم حاثّ أو مستحثّ فكانوا اخصب قوم بالمغرب، ولم يدخلها فتنة. قال الواقدي وكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول: لولا مالي بالحجار لنزلت برقة فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها.

وحدَّثني بكر بن الهَيْثَم، قال حدَّثنا عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح قال: كتب عمرو بن العاصي إلى عمرو بن الخطَّاب يعلمه أنَّه قد ولَّى عُقْبَة بن نَافِع الفِهْري المغرب، فبلغ زَوِيلَة، وانَّ مَن بين زَوِيلَة

وبَرْقَة سلم كلُّهم حسنة طاعـتهم قد ادّى مسلمـهم الصدقة واقرّ مـعاهدهم بالجـزية ، وانَّه قـد وضـع عـلى أهـل زويلـة ومن بينه وبيـنها مـا رأى أنَّهم يطيـقـونه ، وامر عـمَّاله جمـيعـاً أن يأخذوا الصـدقة من الأغنـياء فيـردُّوها فـى الفـقـراء ، ويأخذوا الجزية من الذِّمـة فتحمل إليـه بمصر ، وأن يؤخـذ من أرض المسلمين العـشر ونصف العشـر ، ومن أهل الصلح صلحهم .

وحدَّثنى بكـر بن الهَيْثَم قال سألت عـبد الله بن صالـح عن البربر فقال هم يزعمون انَّهم ولد برّ بن قـيس وما جعل الله لقيس ولداً يقال له برّ ، وأنَّما هم من الجـبَّارين الَّذين قاتلهم داود «عم» وكـان منازلهم على ايادى الدهر فِلَسطِين ، وهم أهل عَمُود ، فـأتوا المغـرب فـتناسلوا به ، حدَّثنا أبو عبيد القاسم بن سـلاَّم قال حدَّثنا عبد الله بن صالح عن الليث ابن سعد عن يزيد بن أبـى حبيب أن عمرو بن العـاص كتب فى شرطه على أهل لَوَاتَة من البـربر من أهل برقة ، انَّ عليكم ان تـبيعـوا ابناءكم ونساءكم فيما عليكم من الجزية ، قـال الليث فلو كانوا عبيداً ما حلّ ذلك منهم . وحدَّثنى بكر بن الهَيْثَم ، قال حـدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لُهَيْعَة ، عن يزيد بن أبى حـبيب أنَّ عـمـرو بن عبـد العزيز كـتب فى اللُّوَاتيَّات انَّ من كانـت عنده لواتية فليـخطبهـا إلى ابيها أو فلـيردها إلى أهلها ، قال ولَوَاتَة قرية من البربر كان لهم عهد .

فتح أطرابلس

فحدَّثنى بكر بن الهَيْثَم عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة ، قال سار عمرو بن العاصى حتَّى نزل أَطْرَابُلُس فى سنة ٢٢ فقوتل ثمَّ افتتحها عنوة ، وأصاب بها أحمال بزيون كثيرة مع تجار من تجارها فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين ، وكتب إلى عمر ابن الخطَّاب أنَّا قد بلغنا اطرابلس ، وبينها وبين إفريقنية تسعة أيَّام فإن رأى أمير المؤمنين ان يأذن لنا فى غزوها فعل ، فكتب إليه ينهاه عنها ويقول ما هى بإفريقية ولكنَّها مفرقة غادرة مغدور بها وذلك أنَّ أهلها كانوا يؤدُّون إلى ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً ، وكان ملك الأندلس صالحهم ، ثمَّ غدر بهم وكان خبرهم قد بلغ عمر .

حدَّثنى عمرو والناقد قال حدَّثنا عبد الله بن وهب ، عن الليث ابن سعد قال حدَّثنى مشيختنا انَّ اطرابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاصى .

فتح إفريقية

قالوا : لمَّا ولى عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح مصر والمغرب ، بعث المسلمين فى جرائد خيل فأصابوا من أطراف افريقية وغنموا وكان عثمان بن عفَّان «رضه» متوقفاً عن غزوها ، ثمَّ أنَّه عزم على ذلك بعد ان استشار فيه ، وكتب إلى عبد الله فى سنة ٢٧ ، ويقال فى سنة ٢٨ ،

ويقـال فى سنة ٢٩ ، يأمـره بغزوها وامـدّه بجيـش عظيم فيـه مَعْبَد بن العبَّاس بن عـبد المطَّلب ، ومروان بن الحكَم بن أبى العـاصى بن أميَّة ، والحارث بن الحكم أخـوه ، وعبد الله بن الزبيـر بن العوَّام ، والمِسْوَرْ بن مـخرَمَة بن نَوْفَل بن أُهَيْب بن عـبـد مَناف بن زُهرَة بن كِلاَب ، وعبـد الرحمن بن زيد بن الخطَّاب ، وعبـد الله بن عمرو بن الخطَّاب ، وعاصم بن عمرو وعـبيد الله بن عمـر ، وعبد الرحمن بن أبى بـكر ، وعبد الله ابن عـمرو بن العـاصى ، وبُسْـر بن أبى أَرْطاة بن عُوَيْمِر العامـرى وأبو ذُؤَيْب خُوَيْلِد بن خالد الهُذَلى الشـاعر وبهـا توفّى فقام بأمـره ابن الزبير حتَّى واراه فى لحـده ، وخرج فى هذه الغزاة ممَّن حـول المدينة من العرب خلق كثير . حدَّثنى محـمَّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن أُسامة بن زيد بن أَسْلَم ، عن نافع مـولى آل الزبيـر ، عن عبـد الله بن الزبير قـال : أغزانا عثـمان بن عفَّان إفريقية ، وكـان بها بطريق سلطانة من أَطْرَابُلُس إلى طَنْجَة ، فسار عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح حتَّى حلَّ بعقُوبَة فقاتله أيَّاماً فقتلـه الله ، وكنـتُ انـا الَّذى قـتلته ، وهرب جيشه فتـمزَّقوا وبثَّ ابن أبى سرح السرايا ففرَّقها فى البلاد فأصابوا غنائم كثيرة ؛ واستاقوا من المواشى ما قدروا عليه ؛ فلمَّا رأى ذلك عظماء إفريقـية اجتمعوا فطلبوا إلى عبـد الله بن سعد أن يأخذ منهم ثلاثمـائة قنطار من ذهب على أن يكفَّ عنهم ويخرج من بـلادهم فقبل ذلك . وحـدَّثني محمَّد بن سـعد ، عن الواقـدى ، عن أُسـامة بن زيد اللَّيْثى ، عن ابن كـعب انَّ عبـد الله بن

سعد بن أبى سرح صالح بطريق افريقية على ألفى دينار وخمسمائة ألف دينار[1] .

وحدثّنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن موسى بن ضَمْرَة المازنى ، عن أبيه قال : لمّا صالح عبد الله بن سعد بطريق إفريقية رجع إلى مصر ولم يولّ على إفريقية احداً ، ولم يكن لها يومئذ قَيْرَوَان ولا مصر جامع ، قال : فلمّا قتل عثمان ، وولى أمر مصر محمّد بن أبى حُذَيْفَة بن عُتْبَة بن ربيعة لم يوّجه إليها احداً ، فلمّا ولى معاوية بن أبى سفيان ، ولّى معاوية بن حُدَيْج السَّكُونى مصر فبعث فى سنة ٦٩ عُقْبَة ابن نافع بن عبد قيس ابن لَقيط الفهرى فغزاها واختطّها ، قالوا : ووجّه عُقْبَة بُسْر بن أبى أرْطاة إلى قلعة من القَيْرَوَان فافتتحها وقتل وسبى ، وهى اليوم تعرف بقلعة بُسْر ، وهى بالقرب من مدينة تدعى مَجّانة عند معدن الفضّة ، وقد سمعتُ من يذكر أنّ مُوسَى بن نُصَيْر وجّه بُسْراً ، وبُسْر ابن ٨٢ سنة إلى هذه القلعة فافتتحها ، وكان مولد بُسْر قبل وفاة النبى ﷺ بسنتين ، وغير الواقدى يزعم أنّه قد روى عن النبى ﷺ والله اعلم .

وقال الواقدى : ولم يزل عبد الله بن سعد والياً حتّى غلب محمّد

---

(١) ويقول قدامة « وقال الواقدى ان هذا الصلح بلغ الفى الف وخمسمائة الف وعشرين الفاً ، فدلّ على أن القنطار ثمانية ألف وأربع مائة دنانير » .

بن ابى حُذَيْفَة على مصر ، وهـو كان انغلها[1] على عثمان ، ثمَّ انَّ عليًّا «رضه» ولّى قَيْس بن سعْد بن عُبَادَة الأنصارى مصر ثمَّ عزله ، واستعمل عليها محمَّد بن أبى بكر الصِدّيق ، ثمَّ عزله وولّى مالكاً الأشتَر ، فاعتلَّ بالقُلْزُم ، ثمَّ ولَى محمَّد بن أبى بكر ثانية وردَّه عليهـا ، فقتله معاوية بن حُدَيْج ، وأحرقه فى جوف حمـار ، ،وكان الوالى عمرو بن العاصى من قبل مـعاوية بن أبى سفيـان ، فمات عمـرو بمصر يوم الفطر سنة ٤٢ ، ويقـال : سـنة ٤٣ ، وولـى عبـد الله بن عمـرو ابنه بعده ، ثمَّ عـزله معاوية ، وولّى معاوية حُدَيْج فأقام بها ٤ سنين ، ثمَّ غزا فغنم ، ثمَّ قدم مصـر فوجَّه عُقْبَة بن نافع بن قيس الفـهرى ، ويقال : بل ولاَّه مـعاوية المغرب فغزا إفـريقية فى عشرة آلف من المسلمين ، فافتتح إفـريقـية واختطّ قَيْرَوَانًا وكـان موضع غـيضـة ذات طرفـاء وشجـر ، لا يرام من السـباع والحيَّات والعقارب القتَّالة ، وكان ابن نافع رجلاً صـالحاً مستجاب الدعوة فدعا ربَّه ، فأذهب ذلك كلَّه حتّى أن كـانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها .

وقـال الواقـدى قلت لموسى بن علىّ ، رأيت بناء افـريقـيـة المتَّصل المجـتمع الَّذى نراه اليـوم مَنْ بناه ؟ قـقـال : اوَّل من بناها عُقْبَة بن نافع الفهرى اخـتطَّها ثمَّ بنى وبنى الناس معه الدور والمسـاكن ، وبنى المسجد الجامع بها . قال وبافـريقية استشهـد مَعْبَد بن العبَّاس «رحه» فى غزاة بن

---

(١) انغل : أفد .

أبى سرح فى خلافة عثمان ، ويقال بل مات فى أيّام القتال ، واستشهاده اثبت .

وقال الواقدى وغيره ، عزل معاوية بن أبى سفيان معاوية بن حُدَيْج وولّى مصر والمغرب مَسْلَمَة بن مُخَلّد الأنصارى ، فولّى المغرب ابا المهاجر مولاه ، فلمّا ولى يزيد بن معاوية ردّ عُقْبَة بن نافع على عمله فغزا السُّوس الأدنى ، وهو خلف طَنْجَه ، وجَوَّلَ فيما هناك لا يعرض له أحد ولا يقاتله ، فانصرف ، ومات يزيد بن معاوية ، وبويع لابنه معاوية بن يزيد ، وهو أبو ليلى فنادى الصلاة جامعَة ، ثمّ تبرأ من الخلافة وجلس فى بيته ومات بعد شهرين ، ثمّ[1] كانت ولاية مروان بن الحكم وفتنة ابن الزبير ، ثمّ ولى عبد الملك بن مروان ، فاستقام له الناس فاستعمل أخاه عبد العزيز على مصر ، فولّى إفريقية زُهَيْر بن قيس البَلَوى ، ففتح تونس ثمّ انصرف إلى برقة ، فبلغه أن جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا ، فتوجّه إليهم فى جريدة خيل فلقيهم فاستشهد ومن معه فقبره هناك ، وقبورهم تدعى قبور الشهداء ، ثمّ ولى حَسَّان بن النعمان الغَسَّانى ، فغزا مِلكَة البربر الكاهنة ، فهزمته فأتى قصوراً فى حيِّز برقة فنزلها ، وهى قصور يضمُّها قصر سقوفه اراج فسمِّيت قصور حَسَّان

---

(١) وأورد قدامة الخبر كمايلي : « فولّى عبد الله بن الزبير مصر ابن جَحْدَم وهو عبد الرحمن بن عقبة الفهرى فاخرج عن مصر ، ويقال قتل بها فولّى مروان عقبة بن نافع » .

ثمَّ انَّ حسَّان غزاها ثانية فقتلها وسبى سبياً من البربر وبعث به إلى عبد العزيز ، فكان أبو محْجَنْ نُصَيْب الشاعر يقول : لقد حضرت عند عبد العزيز سبياً من البربر ، ما رأيت قطُّ وجوهاً احسن من وجوهم . قال ابن الكلبى ولّى هشام كُلْثُوم بن عِيَاض بن وَحْوَح القُشَيْرى إفريقية ، فانتقض أهلها عليه فقُتِل بها ، وقال ابن الكلبى كان إِفْرِيقِيس بن قيس ابن صَيْفِى الحِمْيَرى غلب على إفريقية فى الجاهليَّة ، فسمِّيت به ، وهو قتل جُرْجِير ملكها فقال للبرابرة ، ما أكثر بربرة هؤلاء ، فسمُّوا البرابرة . وحدَّثنى جماعة من أهل إفريقية عن أشياخهم آنَّ عُقْبَة بن نافع الفهرى لمَّا أراد تمصير القَيْرَوَان فكر فى موضع المسجد منه فأرى فى منامه كأنَّ رجلاً اذَّن فى الموضع الَّذى جعل فيه مئذنته ، فلمَّا اصبح بنى المنابر فى موقف الرجل ثمَّ بنى المسجد ، وحدَّثنى محمَّد بن سعد ، عن الواقدى قال : ولّى محمَّد بن الأشْعَث الخُزاعى افريقية من قبل ابى العبَّاس أمير المؤمنين فرمَّ مدينة القَيْرَوَان ومسجدها ، ثمَّ عزله المنصور وولّى عمر بن حَفْص هِزَارْ مَرْد مكانه .

فتح طنجة

قال الواقدى : وجَّه عبد العزيز بن مروان موسى بن نُصَيْر مولى بنى اميَّة ، وأصله من عين التَّمْر ، ويقال بل هو من أَرَاشَة من بَلّى ويقال هو من لَخْم ، والياً على افريقية ، ويقال بل وليها فى زمن الوليد بن عبد

الملك سنة ٨٩ فـفتح طنجـة ونزلها ، وهو أوّل من نزلـها واخـتطّ فيـها للمسلمين ، وانتهت خـيله إلى السُّوس الادنى وبينه وبين السوس الأقصى نيف وعشرون يوماً فوطئهم ، وسبى منهم وأدّوا إليه الطاعة وقبض عامله منهم الصـدقة ، ثمّ ولاّهـا طارق بن زياد مولاه ، وانصـرف إلى قَيْرَوَان إفريقية .

فتح الأندلس

قال الواقدى : غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نُصَيْر الأندلس ، وهو أوّل من غزاها ، وذلك فى سنة ٩٢ ، فلقـيه أُلْيان ، وهو والٍ على مـجاز الأندلس فـأمنَـه طارق على أن حـمله وأصحـابه إلى الأندلس فى الـسفن ، فلمّا صار إليها حاربه اهـلها ففتحها وذلك فى سنة ٩٢ ، وكان ملكها فيما يزعمون من الأشبان وأصلهم من أصبهان ، ثمّ أنّ موسى بن نُصَيْر كتـب إلى طارق كتـاباً غليظاً لتغـريره بالمسلمين ، واقتـتانه علـيه بالرأى فى غزوه ، وأمـر أن لا يجاوز قُرْطُبَه ، وسار موسى إلى قـرطبة من الأندلس فترضّاه طارق فرضى عنه فـافتتح طارق مدينة طُلَيْطُلَة ، وهى مدينة مملكة الأندلس وهى ممّا يلـى فَرَنْجَة وأصاب بها مائدة عظيـمة أهداها موسى بن نصـير إلى الوليد بن عبـد الملك بدِمَشْق حين قفل سنة ٩٦ ، والوليد مريض ، فلمّا ولى سليمان بن عبد الملك ، أخذ موسى بن نصير بمائة ألف دينار ، فكلّمه فـيه يزيد بن المهلّب فأمـسك عنه ، ثمّ لمّا كانت

خلافة عمر بن عبد العزيز «رضه» ولّى المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر ، مولى بنى مَخْزُوم ، فسار أحسن سيرة ، ودعى البربر إلى الإسلام ، وكتب إليهم عمر بن عبد العزيز[1] كتباً يدعوهم بعدُ إلى ذلك فقرأها اسماعيل عليهم فى النواحى فغلب الإسلام على المغرب . قالوا : ولمّا ولى يزيد بن عبد الملك ، ولّى يزيد بن أبى مُسْلِم مولى الحجّاج بن يوسف إفريقية والمغرب ، فقدم إفريقية فى سنة ١٠٢ وكان حرسه البربر فوسم كلّ امرىء منهم على يده «حَرَسى»[1] » ، فانكروا ذلك وملّوا سيرته فدبّ بعضهم إلى بعض وتضافروا على قتله ، فخرج ذات عشيّة لصلاة المغرب فقتلوه فى مصلاّه ، فولّى يزيد بِشْر بن صَفْوَان الكلبى فضرب عنق عبد الله بن موسى بن نصير بيزيد ، وذلك انّه اتّهم بقتله وتأليب الناس عليه ، ثم ولّى هشام بن عبد الملك ، بشر بن صَفْوان أيضاً فتوفّى بالقَيْرَوَان سنة ١٠٩ ، فولّى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن القيسى ثمّ استعمل بعده عبد الله ابن الحَبحاب مولى بنى سَلُول ، فأغزى عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عُقْبَة بن نافع الفهرى السُّوس وارض السُّودان فظفر ظفراً لم ير أحدٌ مثله قطٌّ ، واصاب جاريتين من نساء ما هناك ليس للمرأة منهنّ الاّ ثدى واحد وهم يسمُّون تراجان ، ثمّ ولى بعد ابن الحَبْحاب كُلْثُوم بن عِيَاض القُّصَيرى ، فقدم إفريقية فى سنة ١٢٣ فقتل ، ثمّ ولّى بعده حَنْظَلَة بن صَفْوان الكلبى اخا بِشْر بن صَفْوان فقاتل

---

(١) حرسى : مفرد حرَاس : أعوان الملك .

الخوارج ، وتوفّى هناك وهو والٍ ، وقام الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فخالف عليه عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، وكان محبّباً فى ذلك الثغر لما كان من آثار جدّه عُقْبَة بن نافع فيه فغلب عليه ، وانصرف عنه حَنْظَلَة فبقى عبد الرحمن عليه ، وولى يزيد بن الوليد الخلافة ، فلم يبعث إلى المغرب عاملاً ، وقام مروان بن محمّد ، فكاتبه عبد الرحمن بن حبيب وأظهر له الطاعة ، وبعث إليه بالهدايا ، وكان كاتبه خالد بن ربيعة الأفريقى ، وكان بينه وبين عبد الحميد بن يحيى مودّة ومكاتبة فأقرّ مروان عبد الرحمن على الثغر ، ثمّ ولّى بعده الياس بن حبيب ، ثمّ حبيب بن عبد الرحمن ، ثمّ غلب البربر والإِباضيّة من الخوارج ، ثمّ دخل محمّد بن الأشْعَث الخُزاعى إفريقية والياً عليها فى آخر خلافة أبى العبّاس ، فى سبعين الفاً ويقال فى أربعين الفاً فوليها أربع سنين ، فرمّ مدينة القَيْرَوَان ، ثمّ وثب عليه جند البلد وغيرهم ، وسمعتُ من تحدّث انّ أهل البلد والجند المقيمين فيه وثبوا به فمكث يقاتلهم أربعين يوماً ، وهو فى قصره ، حتّى أجتمع إليه أهل الطاعة ممّن كان شخص معه من أهل خراسان وغيرهم ، وظفر بمن حاربه وعرضهم على الأسماء فمن كان اسمه معاوية أو سفيان أو مروان أو اسماً موافقاً لاسماء بنى أميّة قتله ، ومن كان اسمه خلاف ذلك استبقاه فعزله المنصور ، وولّى عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صُفْرَة العتَكى ، وهو الّذى سمى هِزَارْمَرْد ، وكان المنصور به معجباً ، فدخل إفريقية وغزا منها حتّى بلغ أقصى بلاد البربر وابتنى هناك مدينة سمّاها العبّاسيّة ، ثمّ إنّ ابا حاتم

السَّدَّراتى الإباضى من أهل سَدَّراته ، وهو مولى لكنـدة قاتله فاستشهد ، وجماعة من أهل بيته وانتقض الثغر ، وهدمت تلك المدينة التى ابتناها ، وولّى بعد هزارمَرْد يـزيد بنت حاتم بن قَبِيصة بن المُهَلَّب ، فـخرج فى خمسين الفاً وشيَّعة أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدّس ، وانفق عليه مالا عظيمـاً فسار يزيد حتّى لقى ابا حاتم باطرابلس ، فـقتله ودخل إفريقـية فاستـقامت له ، ثمّ ولى بعد يزيد بن حاتم روح بن حـاتم ، ثمّ الفضل بن رَوْح فوثب الجند عليه فذبحوه .

وحـدّثنى أحمـد بن ناقد مـولى بن الأَغْلَب قال : كـان الأَغْلَب بن سالم التـميمى من أهل مَرْو الرُّوذ ، فـيمن قدم مع المُسَوَّدَة من خـراسان فولاّه موسـى الهادى المغرب فجـمعَ له حَرِيش ، وهو رجل كان من جند الثغر من تُونس جمعاً ، وسار إليه وهو بقَيْرَوَان إفريقية فحصره ، ثمّ أنّ الأغلب خـرج إليه فـقاتله ، فـأصابه فى المعـركة سـهم فسـقط ميِّتـاً ، وأصـحابه لا يـعلمون بمصـابه ولم يعلم به أصـحـاب حَرِيش ، ثمّ أنّ حَرِيشاً انهزم وجيـشه فاتبعهم أصحاب الأغلب ثلاثـة أيَّام فقتلوهم وقتلوا حريشـاً بموضع يعرف بسـوق الأحد ، فسـمِّى الأغلب الشهيـد ، قال : وكان إبراهـيم بن الأغلب من وجوه جند مصـر ، فوثب واثنا عشر رجلاً معـه فأخذوا من بـيت المال مقدار ارزاقـهم لم يزدادوا على ذلك شيـئاً ، وهربوا فلحقوا بموضع يقال له الزاب ، وهو من القَيْرَوَان على مسيرة أكثر من عشـرة أيَّام ، وعامل الثغر يومـئذ من قبل الرشـيد هارون هَرْثَمَة بن

أعيَن واعتقد[1] إبراهيم بن الأغلب على من كان من تلك الناحية من الجند وغيرهم الرياسة ، وأقبل يهدى إلى هَرْثَمَة ويُلاطفه ويكتب اليه يعلمه إنَّه لم يخرج يداً من طاعة ، ولا اشتمل على معصية ، وأنَّه إنمَّا دعاه إلى ما كان منه الاحواج والضرورة فولاَّه هَرْثَمَة ناحيته واستكفاه امرها ، فلمَّا صرف هَرْثَمَة من الثغر ، وليه بعده ابن العكّى فساءَ اثره فيه حتَّى انتقض عليه ، فاستشار الرشيد هَرْثَمَة فى رجل يوليه ايّاه ويقلّده امره ، فأشار عليه باستصلاح إبراهيم واصطناعه وتوليته الثغر ، فكتب اليه الرشيد يعلمه أنَّه قد صفح له عن جُرمه وأقاله هفوته ، ورأى توليته بلاد المغرب اصطناعاً له ليستقبل به الإحسان ، ويستقبل به النصيحة ، فولّى إبراهيم ذلك الثغر وقام به وضبطه ، ثمَّ انَّ رجلاً من جند البلد يقال له عِمْران ابن مُجَالِد خالف ونقض ، فانضمَّ اليه جند الثغر ، وطلبوا ارزاقهم وحاصروا إبراهيم بالقَيْرَوَان ، فلم يلبثوا أن اتاهم العُرّاض والمُعْطون ومعهم مال من خراج مصر ، فلمَّا اعطوا تفرَّقوا فابتنى إبراهيم القصر الأبيض ، الَّذى فى قبله القَيْرَوَان على ميلين منها ، وخطّ للناس حوله ، فابتنوا ، ومصَّر ما هناك ، وبنى مسجداً جامعاً بالجص والآجرّ وعمد الرخام ، وسقَفه بالارز وجعله مائتى ذراع فى نحو مائتى ذراع ، وابتاع عبيداً أعتقهم ، فبلغوا خمسة ألف وأسكنهم حوله وسمّى تلك المدينة العبَّاسيَّة ، وهى اليوم آهلة عامرة . وكان محمَّد بن الأغلب ابن ابراهيم بن الأغلب أحدث فى سنة ٢٣٩ مدينة بقرب تَاهرت ،

(١) يقال : عقد له الرئاسة فى قومه : أى جعلها له .

سمّاها العبّاسيّة ايضاً ، فأخربها أَفْلَح بن عبد الوهّاب الأباضى ، وكتب إلى الأُمَوىّ صاحب الأندلس يعلمه ذلك تقرّباً إليه به ، فبعث إليه الأموى مائة ألف درهم . وبالمغرب أرض تعرف بالأرض الكبيرة ، وبينها وبين برقة مسيرة خمسة عشرة يوماً أو أقلّ من ذلك قليلاً ، أو أكثر قليلاً، وبها مدينة على شاطىء البحر تدعى بارة ، وكان أهلها نصارى وليسوا بروم غزاها جبلة ، مولى الأغلب فلم يقدر عليها ، ثمّ غزاها خَلْفُون البربرى ، ويقال أنّه مولى لربيعة ففتحها فى أوّل خلافة المتوكِّل على الله ، وقام بعده رجل يقال له المفرّج بن سلاّم ففتح اربعة وعشرين حصناً ، واستولى عليها وكتب إلى صاحب البريد بمصر يعلمه خبره ، وانّه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة الاّ بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويولّيه ايّاها ليخرج من حدّ المتغلِّبين ، وبنى مسجداً جامعاً ، ثمّ انّ اصحابه شغبوا عليه فقتلوه ، وقام بعده سوران[1] فوجّه رسوله إلى أمير المؤمنين المتوكِّل على الله يسأله عقداً وكتاب ولاية ، فتوفّى قبل أن ينصرف رسوله اليه ، وتوفّى المنتصر بالله ، وكانت خلافته ستّة اشهر ، وقام المستعين بالله أحمد بن محمّد بن المعتصم بالله ، فأمر عامله على المغرب ، وهو أوتامش مولى أمير المؤمنين بان يعقد له على ناحيته فلم يشخص رسوله من سرّ من رأى حتّى قتل أوتامش وولى الناحية وصيف مولى أمير المؤمنين فعقد له وأنفذه .

---

(١) رجاءت : سودان .

رقم الإيداع: ٢٦٣٢ / ١٩٩٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6232 - 9

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل - للشاب - للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ٩٩

١٢٥ قرشا

